جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

توجيه مشتبه النظم القرآني عند الدكتور/ الخضري "دراسة وصفية"

إعداد

د / مصطفى محمد حجاب حسانين

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر .

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠٠ أبريل)
(الجزء الثالث (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

توجيه مشتبه النظم القرآني
عند الدكتور / الخضري "دراسة وصفية"

مصطفى محمد حجاب حسانين.
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط.
البريد الإلكتروني:mostafahassanein.47@azhar.edu.eg

الملخص

هذه الدراسة بعنوان: توجيه مشتبه النظم القرآني عند الدكتور/ الخضري دراسة وصفية، وتهدف إلى الإبانة عن منهجه وطريقته في توجيه مشتبه النظم القرآني، والكشف عن أسس التوجيه وضوابطه، وكيف أثري هذا العلم في تحليله نماذج من المشتبه جامعا بين التنظير والتطبيق. وجاءت في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث: سمات عامة لمنهجه في توجيه مشتبه النظم، وأسس توجيه المشتبه، وضوابط وقواعد في التوجيه. ومن أهم نتائجها: الاتكاء على الكتب الأصلية والفرعية في توجيه مشتبه النظم، ومنها: كتب متشابه القرآن، والتفاسير البيانية، والحواشي، وكتب علوم القرآن، والجمع بين تراث السابقين وكتب شيوخه ومعاصريه. وأحسن في قراءة توجيهات سابقيه ومعاصريه بتأمل واعٍ: تارة يوافقهم ويستحسن ما قالوا، وتارة يناقش أقوالهم، ويضعِّف منها ما لا يسوغ، وتارة يفاضل ويرجح بعضها مع التعليل وحشد الدليل، وتارة يوضح ويفصل ما جاء في كلامهم مقتضبا خاطفا. وقد اعتمد في التوجيه على أسس قوية، منها أسس لغوية: صوتية، أو نحوية، أو صرفية، أو بلاغية، أو دلالية، ومنها أسس مستمدة من علوم القرآن، ومنها أسس في التوجيه اللفظي، ومن ثَم كان الاتكاء على تلك العلوم مثمرا في استجلاء أسرار المغايرة. مع إضافته توجيهات لآيات سُبق إلى توجيهها، وتوجيهات لآيات هُدي إلى أسرارها بعد توقف طويل، واجتهد في تعليلها حين لم يجد لغيره فيها توجيها، فأثري

هذا العلم. ولم يقتصر على النظرات الجزئية، بل اعتمد على نظرات كلية في النظم العام، كما وافق ضوابط كانت عند سابقيه فأقرها، واستثمرها في شواهد أخرى، وسلك بها مسالك جديدة في التوجيه، وله ضوابط أضافها بعد طول اجتهاد وتأمل، كما نقد بعض الضوابط والقواعد وخالفها مستشهدا على قوله.

الكلمات الافتتاحية: توجيه، متشابه، النظم ، الخضري.

Guidance of the Suspicious Quranic Systems of Dr. Al-Khudary "A Descriptive Study".

Mostafa Mohammed Hegab Hassanin
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Assiut.

E-mail: *mostafahassanein.47@azhar.edu.eg*

Abstract

Abstract searching of entitled: Direction of the Qur'anic Syntactic Syntax of Dr. Al-Khudary "A Descriptive Study." It aims to reveal his approach and method in guiding suspected Quranic systems, revealing the foundations and controls of guidance, and how he enriched this science in his analysis of models of suspects, combining theory and application. It came in an introduction, a preface, and three topics: general features of his approach to directing suspect systems, the foundations for directing suspects, and controls and rules for guidance. Among its most important results: relying on the original and secondary books in guiding suspect systems, including: books similar to the Qur'an, explanatory interpretations, footnotes, and books on the sciences of the Qur'an, and combining the heritage of the predecessors and the books of its sheikhs and contemporaries. And he is better at reading the directives of his predecessors and contemporaries with conscious contemplation: sometimes he agrees with them and approves of what they said, and sometimes he discusses their sayings, and weakens what is not justified, and sometimes he prefers and outweighs some of them with reasoning and mobilizing evidence, and sometimes he clarifies and details what came in their words, brief and cursory. In guidance, he relied on strong foundations, including linguistic foundations: phonetic, grammatical, morphological, rhetorical, or semantic, including foundations derived from the sciences of the Qur'an, including

foundations in verbal guidance, and then relying on those sciences was fruitful in clarifying the secrets hetero. With his addition of directions for verses that were previously directed, and directions for verses that guided him to their secrets after a long pause, and he strived to explain them when he did not find guidance for others in them, so he enriched this knowledge. He was not limited to partial looks, but relied on holistic looks in the general system, as he agreed with the controls that were with his predecessors, approved them, and invested them in other evidence, and he took them with new paths in guidance, and he has controls that he added after a long diligence and reflection, and he also criticized some controls and rules and contradicted them citing on his saying.

Keywords *Steering, Similar, Systems, Vegetative.*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

فإن علوم الإعجاز من أشرف العلوم منقبة وأعلاها مرتبة، ومن وجوه الإعجاز القرآني وجه رفيع الشأن وهو الإعجاز البياني، فقد جمع كثيرا من الدقائق والفوائد، وحوى العديد من اللطائف مع ما اشتمل عليه من الأسرار التي قطعت الأطماع عن مجاراة نظمه. وعلمُ مشتبه النظم القرآني من ألصق الأبواب بالإعجاز البياني بما حوى من توجيه الآيات المتشابهة التي تتحد ألفاظها أو تتقارب وتتشابه نظومها، ولا تجد بينها من الفروق إلا حرفا، أو كلمة، أو تقديما في النظم، أو حذفا أو غير ذلك من التغاير الذي يكشف علمُ المتشابه أسرارَه، ويضيء أنوارا من إعجازه، فإن البحث في توجيه المتشابه وكشف أسراره يثير كوامن التناسب البلاغي، وهو برهان ساطع على أن استبدال لفظة أو جملة بأخرى مما تشابه نظمه لا يكون على النحو اللائق ببلاغته وإعجازه؛ ولهذا عُدَّ من آيات الإعجاز القرآني.

وقد اتجهت تلك الدراسة إلى جهد عالم راسخ في علوم البلاغة والإعجاز القرآني، ودراساتُه القرآنية التي أبقاها ذخرا لنا – وأجرا له بإذن ربه– هي للناظر المتأمل ينابيع ثرَّة في جوانب متعددة من الدراسات البيانية، وقد وقفت في مؤلفاته على الكثير من توجيه مشتبه النظم القرآني، فرأيت فيها كشفا عن أسرار الكتاب العزيز التي هدي إليها، وفتحا لما غفل عنه غيره، فكثير من أقواله المبثوثة في مؤلفاته القيمة يميط اللثام عما احتجب في توجيه المشتبه من اللطائف. فهذا العلم لم يكتب فيه من العلماء قديما إلا القليل، ثم دندن حول أقوالهم بعض الدارسين حديثا، فكرروا أقوالهم مجملة دون توسيع دائرة التطبيق، وتوقفوا حيث وقفوا، وتهيبوا خوض غماره، لكن د/الخضري يغوص في بحاره حتى يستخرج من دره، فتراه في التوجيه يحسن أسسه، ويحكم ضوابطه، وينتقد ما لا

يستقيم، ويكمل جهد السابقين، ويتمم ما بدأوه، ويستنبت قواعدهم في أودية مترامية الأطراف، وكل ذلك بمسلك دقيق ونهج مستقيم، وهذا مما يغري بدراسة هذا الجانب في مؤلفاته.

ويهدف هذا البحث إلى بيان سمات عامة لمنهج الدكتور/الخضري في توجيه مشتبه النظم القرآني، والكشف عن أسس التوجيه وضوابطه، وكيف أثري هذا العلم في تحليله نماذج من المشتبه جامعا بين التنظير والتطبيق، على نحو يقدم الكثير من دقائق الفروق، وأسرار المغايرة في مشتبه النظم القرآني، ففي المتغاير من بدائع الفرائد ما لا يقل عن روائع المتشابه .

واتبعت في البحث المنهج الوصفي؛ للإبانة عن منهج الدكتور الخضري وطريقته في توجيه مشتبه النظم إذا عرض له في مؤلفاته، مع التركيز على أسس التوجيه عنده، وبعض الضوابط التي نقدها، وعدد من الضوابط والتوجيهات التي أضافها إلى هذا العلم، وجانب من نظراته الكلية؛ لتبين الأسرار التي هُدي إليها، والدلالات والإيحاءات البلاغية الكامنة وراء التغاير، وإن كنت أكثرت من النقل عنه، وأثريت البحث بنصوص مطولة من كلامه؛ فذاك لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، فالكلام المكتنز يفسده الاختصار، وعرض فكر المؤلف بجلاء ووضوح لا يسد فيه طي النصوص مسد بسطها وتثويرها.

وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المقدمة – تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته.

التمهيد - وفيه نبذة عن الدكتور/الخضري، ونبذة عن علم مشتبه النظم القرآني.

- **المبحث الأول**: **سمات عامة لمنهج الدكتور/ الخضري في توجيه مشتبه النظم**.
- **المبحث الثاني**: **أسس توجيه مشتبه النظم القرآني عند د/الخضري**.
- **المبحث الثالث**: **ضوابط وقواعد في توجيه مشتبه النظم عند د/الخضري**.

ثم الخاتمة، **ومراجع البحث**، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

التمهيـــد

قبل الشروع في الكلام عن علم المشتبه لا بد من نبذة وجيزة عن العلامة الدكتور/محمد الأمين الخضرى، فقد ولد عام ١٩٤٦م بمحافظة قنا، وكان أستاذا بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وله العديد من المؤلفات والبحوث العلمية، وأكثرها في البلاغة القرآنية، وهو من علماء الأزهر الذين عنوا بقضايا الإعجاز البلاغي في القرآن، وتطبيقاته فوق تنظير النحويين والبلاغيين، لأنها وليدة البحث والتأمل في النظم القرآني، وناتجة عن ملازمة ومعايشة للنظم المعجز سنين طوال كما يتضح من خلال مؤلفاته، وأكثر أبحاثه العلمية التي نشرت في المجلات العلمية طبعت ضمن كتاب: دراسات في إعجاز القرآن، توفي – رحمه الله – في ٢٣ أبريل ٢٠١٩م.

نبذة عن علم مشتبه النظم، وأهم كتبه:

علم مشتبه النظم يجلي جانبا من إعجاز القرآن البياني، فهو متعلق بالمتشابه اللفظي، "وَهُوَ:إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَكْثُرُ فِي إِيرَادِ الْقَصَصِ وَالْأَنْبَاءِ، وَحِكْمَتُهُ التَّصَرُّفُ فِي الْكَلَامِ، وَإِتْيَانُهُ عَلَى ضُرُوبٍ؛ لِيُعْلِمَهُمْ عَجْزَهُمْ عَنْ جَمِيعِ طُرُقِ ذَلِكَ مُبْتَدَأً بِهِ وَمُتَكَرِّرًا"[١].

وقد أفرده بالتصنيف جماعة من العلماء، منهم من اكتفى بجمع الآيات دون توجيه، كالكسائي(ت١٨٧هـ) في "متشابه القرآن"، والسخاوي(ت٦٤٢هـ) في نظم "هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب"، ومنهم من عني بالتوجيه والتعليل كما قال السيوطي: "أَلَّفَ فِي تَوْجِيهِهِ الْكِرْمَانِيُّ كِتَابَهُ: "الْبُرْهَان فِي مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ"، وَأَحْسَنُ مِنْهُ "دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ" لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ، وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا "مَلَاكُ التَّأْوِيلِ" لِأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، وَلِلْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ لَطِيفٌ سَمَّاهُ "كَشْفُ الْمَعَانِي عَنْ مُتَشَابِهِ الْمَثَانِي"، وَفِي كِتَابِي أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ الْمُسَمَّى "قَطْفُ الْأَزْهَارِ فِي كَشْفِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي١/١١٢.

الْأَسْرَارِ" مِنْ ذَلِكَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ"[1]. ويضاف إلى الكتب التي ذكرها السيوطي كتاب: "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" لزكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ).

ومفاضلة السيوطي بينها على النحو المذكور فيه نظر، فأهم هذه المؤلفات وأولها وأولاها بالسبق والتقديم: "درة التنزيل" للخطيب الإسكافي رائد هذا العلم، وقد فتح به مصنفه بابا مغلقا، ثم اعتمد اللاحقون على ما جاء فيه، ونهجوا نهجه، واستنوا به. ورأسُ المقتدين به، ولسان المقرين بفضله ومنزلته ابنُ الزبير الذي يقول: "ورد علي كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة – نفعه الله– سماه بكتاب: "درة التنزيل وغرة التأويل"، قرع به مغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب، وعرَّف أنه باب لم يوجفه عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبل فيه، بحرف مما فيه. وصدق – رحمه الله– وأحسن فيما سلك وسن، وحق لنا به –لإحسانه– أن نقتدى به ونستن"[2]. وبسط ابن الزبير الغرناطي الكلام في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل واجتهد فيه وأتى بالمزيد، وإن لم يبلغ مبلغ سابقه (الإسكافي)... وفي أقوال د/الخضري ما يجدّد تراث سلفه: الإسكافي، والغرناطي، كما سيتضح من البحث.

ولا يخفى أن توجيه المتشابه وتحليله له مراحل وخطوات تتجلى عند أئمة هذا العلم: كرصد الظاهرة، وجمع المتشابه من الآيات، وإحصاء الآيات التي تشابهت على وجه التتبع الاستقصاء، فإذا صنفت واجتمعت النظائر، ظهر ما اتفقت فيه، وما تغاير منها لفظا أو نظما، ومن ثم يتجه التحليل في ضوء هذه المعطيات إلى كشف الفروق الدلالية الدقيقة بين الحروف والمفردات والجمل المتقاربة والمتشابهة، لاستثمار كل ذلك في بيان أسرار المغايرة في النظوم المتشابهة وفق أسس وضوابط يبنى عليها التوجيه... وقد اشتدت عنايتهم بأمرين: الأول– الفرق بين الآيتين أو الآيات المتشابهة لفظا مع ذكر فروق الدلالة بين المتشابهات، والثاني–

---

(1) الإتقان للسيوطي٣/٣٩٠ .

(2) ملاك التأويل للغرناطي ١/ ٨ .

وهو مبلغ الغاية في هذا التحليل- بيان سر اختصاص كل آية أو سورة بما جاء فيها مغايرا للآية التي تشبهها.

وبهذا التغاير اللفظي تقديما وتأخيرا، أو فصلا ووصلا، أو جمعا وإفرادا، أو تعريفا وتنكيرا، أو إبدال حرف بآخر، أو كلمة بأخرى ... يتجلى لون من ألوان إعجازه، ويتمايز المتشابه عن التكرار الذي يعاد فيه الكلام على هيئته لفظا ونظما دون أدنى مغايرة، ولا يخفى أن للمتشابه في القرآن أسرارا وفوائد كما أن للتكرار أسرارا وفوائد، يقول الإسكافي رحمه الله تعالى:" إذا أو رد الحكيم- تقدست أسماؤه- آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى، فلا بد من حكمة هناك تطلب، فإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها، فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[١].

ولم يكن اهتمام العلماء به بالقدر الكافي، وليس ذلك لعجز المتقدمين، ولكن قليل هم الذين تصدوا لأسراره وتوجيهه، لوعورة مسلكه، وخفاء أسراره، ودقة مباحثه، وحاجته- كعلم المناسبة- إلى طول صبر، وملازمة التأمل والتدبر، والإلمام بعدة علوم، مع النظر الثاقب الدقيق المتكرر من أولي النهى.

ومن ثمرات التوجيه: أنه يجعل من المتغايرات وحدة متكاملة فيما بينها بلا تعارض ولا تناقض، ويرتقي من دفع ما يزعمه الطاعنون الذين يتلقفون أدنى الظاهر بلا تأمل ولا تدبر إلى استجلاء اللطائف والأسرار في النظم المعجز.

وحين ذكر د/أبو موسى المشتبه اللفظي، استحث الباحثين على هذه الدراسة القرآنية مبينا أهميتها، فذكر أن الآيات المتشابهة بينها فروق ترتبط بالسياق ارتباطا بالغ الدقة والرهافة، والكشف عنها يحتاج إلى مهارة ووعي، وإحاطة شاملة، وليس هناك أدخل في باب البلاغة العالية من مثل هذه البحوث، ويجب أن تتوفر جهود الباحثين على هذا الجانب، والتنقيب عن تراث السلف فيه[٢].

---

(١) درة التنزيل: الإسكافي ١٠ .

(٢) ينظر: دلالات التراكيب: د/ محمد أبو موسى ٣٤٧، ٣٤٨ .

المبحث الأول -

سمات عامـة لمنهـج الدكتور / الخضري في توجيـه مشتبـه النظـم:

بعد قراءة متأنية في مؤلفاته واطلاع واسع على توجيهه مشتبه النظم يمكن الوقوف عند معالم منهجه، وتتمثل أبرز السمات العامة لمنهجه الراقي فيما يأتي:

أولا- الاتكاء على الكتب الأصلية والفرعية في توجيه مشتبه النظم:

لا يخفى على باحث أن تراث العلماء المتقدمين في مشتبه النظم له أثره في خالفيهم، وأن تلك المصنفات الأمهات منارات يهتدى بها في فهم كتاب الله تعالى عامة، وفي تحليل مشتبه النظم خاصة.

ولهذا كان اعتماد د/الخضري – في المقام الأول– على كتب المتشابه، إن تعرض مصنفوها للآية موضع التحليل، ويعزو الأقوال إلى أصحابها، وبعد استقراء مؤلفاته وجدت أنه يعتمد على كتابين من كتب المتشابه: أولهما وأولاهما عنده "درة التنزيل وغرة التأويل" للخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ)، وقد نقل عنه كثيرا، ويرى تحليله وتعليله من دقيق الكلام، ويثنى على إدراكه الفروق الدقيقة وأسرار المغايرة، وهذا أكثر من أن يحصى في مؤلفاته[١]. والكتاب الآخر – وهو دون الأول– "ملاك التأويل"[٢] لابن الزبير الغرناطي(ت٧٠٨هـ)، ولم

---

(١) يحسن أن أشير إلى نماذج للإكثار من نقله عن الإسكافي في توجيه المشتبه، ينظر: من أسرار حروف الجر ٢٢١ ، ٢٥٦، ٣٤٦، ٣٥٣ نقلا عن درة التنزيل ٢٠٩، ١٥٨، ١٥٠، ٢٩. وينظر: الواو ومواقعها ٣٨٥ نقلا عن درة التنزيل١٨٥، ١٨٦. وينظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ١٤١ نقلا عن درة التنزيل ٨، وينظر: من أسرار حروف العطف ٢٧٧ نقلا عن درة التنزيل ١٥٧.

(٢) ينظر: الإعجاز البياني ١٤٣، ٢٠٠ نقلا عن ملاك التأويل٣٨/١، ٩٠ وينظر: من أسرار حروف الجر ٢٤٥ نقلا عن ملاك التأويل ٣٨٨/٢ .

أقف – ولو مرة واحدة – على ذكر لغيرهما من كتب توجيه المتشابه القرآني التي ذكرتها آنفا: (فتح الرحمن، كشف المعاني لابن جماعة، أسرار التكرار للكرماني)، فلعل فيما ينقله عن الكتابين الأولين غنية عما سواهما، أو لأن غيرهما يستمد منهما، ويغترف من بحر توجيهاتهما، فكان الاستغناء بالأصل عن الفروع.

ثم كان اعتماده في التوجيه على الكتب الفرعية مما ذكر مفرقا مبثوثا في كلام المفسرين البيانيين كالزمخشري، وهو أكثرهم في الجانب التطبيقي للبلاغة القرآنية، وأدقهم في الفروق الدلالية، كما يعرب عنه د/الخضري بلسان حاله، وبلسان مقاله حين تروق له عبارته، ويستحسن ما يذكره من دقائق الفروق بين المتشابهات كثيرا[١]، وينقل عن الرازي أحيانا، ويستحسن قوله[٢]، ونقل عن ابن عطية[٣]، وأبي حيان[٤]، وأبي السعود العمادي[٥]، والآلوسي[٦]، كما نقل عن أصحاب الحواشي كابن المنير[٧]، والطيبي[٨]، والشهاب الخفاجي[٩].

---

(١) ينظر: الواو ومواقعها ٢٣٨، ٢٣٩، من أسرار حروف الجر ٢٢٥، الكشاف ٣/ ٤٩٩.

(٢) ينظر: الواو ومواقعها ١٧٤ نقلا عن تفسير الرازي ١١/ ١٩٣، وينظر: الواو ومواقعها ٢٣٨، دراسات في إعجاز القرآن ٧٥، ٧٦.

(٣) ينظر: الإعجاز البياني ١٧٤-١٧٩، المحرر الوجيز: ابن عطية ٢/ ٢٧٥.

(٤) ينظر: من أسرار حروف العطف ١٣٨، ١٣٩، من أسرار حروف الجر ٣٢٨، وينظر: البحر المحيط ٣/ ٦٦١.

(٥) ينظر: دراسات في إعجاز القرآن ٨٨، ٨٩، تفسير أبي السعود ٥/ ٢٥٦.

(٦) ينظر: من أسرار حروف العطف ١٤٩، تفسير الآلوسي ٨/ ٣٢٠.

(٧) ينظر: الواو ومواقعها ٣٩٠، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف: ابن المنير ١/ ٢٥٩ .

(٨) ينظر: الإعجاز البياني ١٤٧، وحاشية الطيبي على الكشاف ١١/ ٣٠٤.

(٩) نقل د/الخضري عن الشهاب الخفاجي توجيه المشتبه اللفظي بين الإفراد والجمع في عدة مواضع، ينظر على سبيل المثال: الإعجاز البياني ١٠٨ نقلا عن حاشية الشهاب ٥/ ٩٥ ، ينظر موضع آخر في: الإعجاز البياني ١٢٩ نقلا عن حاشية الشهاب ٣/ ١١٦.

وكذلك اعتمد على أقوال أئمة النحو في توجيه المتشابه اللفظي، ينقل أحيانا توجيه السهيلي، ويستحسنه، ويعده في عدة مواضع من لطيف الكلام الذي ينبئ عن توفيق بالغ[١]. ونقل عن فقهاء اللغة[٢] .

ونقل عن كتاب مفردات القرآن للراغب[٣]، والبرهان في علوم القرآن للزركشي[٤]، وفي وفي عدة مواضع ينقل عن بدائع الفوائد لابن القيم[٥].

ومع هذا التراث المتنوع في مصادره والذي يدل على شدة العناية بكلام المتقدمين، فإنه كذلك أفاد من شيوخه ومعاصريه في توجيه المشتبه، ومنهم الدكتور/محمد أبو موسى[٦]، والدكتور/ محمد أحمد الغمراوي[٧]، وغيرهما.

وبهذا جمع في مصادره بين الإلمام بتراث السابقين وكتب المعاصرين، فتحقق لديه في التوجيه الثراء العلمي الذي لا تخفى صوره ومظاهره.

ثانيا- منهجه في التعامل مع أقوال العلماء في توجيه مشتبه النظم:

ما سبق عرضه من المصادر العلمية الأصلية أو الفرعية التي اعتمد عليها د/الخضري في التوجيه يثير تساؤلا عن نهجه في التعامل مع كلام العلماء في هذا الباب، والمتتبع لذلك

---

(١) ينظر: الواو ومواقعها ١٠٤ نقلا عن نتائج الفكر٢١٥ ، والإعجاز البياني ٢٠٣ نقلا عن نتائج الفكر الفكر ١٢٤.

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة٣٣، دراسات في إعجاز القرآن ١٧٥.

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر ١٤١، المفردات في غريب القرآن ٨١٢.

(٤) ينظر: من أسرار حروف الجر ١٢٨، ١٩٩، البرهان في علوم القرآن ٤/ ١٧٦.

(٥) ينظر: الواو ومواقعها في النظم القرآني ١٦٨، نقلا عن بدائع الفوائد ١/ ٧٦، ٧٧ ، وينظر: من أسرار حروف الجر ١٧٩، نقلا عن بدائع الفوائد ٢/ ٥، ٦.

(٦) ينظر: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ١٨، الإعجاز البلاغي: د/محمد أبو موسى١٩٩.

(٧) ينظر: من أسرار حروف الجر ٣٤٣، الإسلام في عصر العلم١٢٩، ١٣٠.

يجد أصلا ثابتا، وهو كونه يحسن فهم كلام سابقيه ومعاصريه بتأمل وفحص وتمحيص، ثم ينتج عن تلك الشجرة الطيبة ثمرات مختلف ألوانها، تارة يوافقهم ويستحسن ما قالوا ولا يزيد، وتارة يناقش أقوالهم، ويضعِّف منها ما لا يسوغ، ويرد بعضها مستدلا بأدلة متعددة، وتارة يوازن ويفاضل ويرجح بعضها مع التعليل وحشد الدليل، وتارة ينمي كلامهم ويستثمره في جديد لم يتعرضوا له... وهذا يجعله في مصاف العلماء الكبار يزاحم المفسرين، وعلماء المشتبه، واللغويين، ومن المهم إماطة اللثام عن مظاهر ذلك في مؤلفاته على نحو يجلي جهده إزاء كلام سابقيه، ويظهر فيما يأتي:

١- إذا وجد في قول السابقين كفاية ومقنعا، وافقهم، فيرتضي أقرب الأقوال إلى القبول ويكتفي به، أو يستحسنه: تجد ذلك عند بيان سر المغايرة بين التعدية بـ (على) في قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(الزمر ٧٣)، والتعدية بـ (اللام) في قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾(الواقعة ٩١) يذكر قول ابن القيم، ولا ينقل عن غيره، ويصرح قائلا: " كشف ابن القيم عن سر المغايرة في هذا التعدي بما لا مزيد عليه، فقال..."[١].

كما استحسن ما ذكره ابن القيم في توجيه إفراد (المشرق والمغرب) وتثنيتهما وجمعهما في مشتبه الذكر الحكيم على نحو يحقق تناسب المباني للمعاني ثم عقب قائلا: "بهذا الأسلوب الرائع والتحليل الدقيق كشف ابن القيم عن أسرار الإعجاز في المغايرة بين الصيغ بما لم يسبق إليه، ولم يلحق فيه"[٢].

٢- يناقش أقوال المفسرين في المتشابه، ولا يقنع ببعضها، فيرد منها بالدليل، ثم يبين الوجه عنده، وهذا متحقق في إيثار بعض الصيغ[٣]، وفي التقديم، وفي الفصل والوصل...

---

(١) من أسرار حروف الجر ، ٢٣٩، وينظر: بدائع الفوائد ١٤٦/٢.

(٢) ينظر: الإعجاز البياني ٢٤٣، ٢٤٤، وبدائع الفوائد ١/ ١٢١، ١٢٢ .

(٣) ينظر: السابق ٤٩ .

ومن شواهده في الإفراد والجمع قوله: "ومما توقفت أمامه طويلا، غير قانع بما عثرت عليه من أقوال حذقة المفسرين، صيغة الجمع التي وردت مرة واحدة(عَلَق)، يقابلها خمسة مواضع ورد فيها مفردها مما اشتبه نظمه، وذلك في قوله:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾(العلق١، ٢)، ولم يكن مثل تعليل الزمخشري مما يتبلغ به الباحث عن سر الإعجاز... وقد جاءت الآية في مقام تعظيم خلق الإنسان، والامتنان عليه بنعمة العلم، ومقام التعظيم أولى بالجمع لما في الجمع من معنى الكثرة الدالة على عظم المجموع، ثم إن السورة بنيت على الإيجاز في اللفظ والإطناب في المعنى"(١).

وبهذا ينتقل من مراعاة السياق القريب في توجيه المشتبه، فينعم النظر في السياق البعيد، ويرى السورة في بنيتها كاشفة عن سر المغايرة والتمايز، وتلك نظرة شمولية ممتدة رحيبة، عنيت بطابع السورة من جهة الإيجاز والإطناب.

وطابع الإيجاز واضح على سورة العلق، لما حوت من فيض المعاني والإيحاءات والإشارات، ورحم الله الدكتور/ دراز القائل: "القرآن الكريم يستثمر أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، وتلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب"(٢).

وفي البحث عن أسرار المغايرة بين حروف العطف، تعقب هذا التوجيه الذي ذكره ابن الزبير في مغايرة آية سورة الزمر ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ (٦)﴾ لآيـــــة

(١) الإعجاز البياني ٢٢٩ وما بعدها .

(٢) النبأ العظيم: د/محمد عبدالله دراز ١٢٧.

سورة النساء﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(١)، وآية سورة الأعراف﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(١٨٩) قال ابن الزبير:" وأما الجواب عن السؤال الثالث، وهو زيادة "ثم " فى سورة الزمر، فلما قصد من الامتنان والإنعام على الجنس الآدمى، ولتفاوت ما بين الآيتين العجيبتين من خلق الصنف الإنسانى من شخص واحد، وخلق زوجه، فجئ بـ (ثم) المنبهة على معنى الاعتناء بذكر ما عطف بها والتأكيد لشأنه للمزية على المعطوف عليه القائمة مقام التراخى فى الزمان"[١]. وتعقبه بأنه لا يجد في هذا التعليل مقنعا، وعلل ذلك بأن مقام الامتنان بالواو ألصق، لأن الغرض منه تعديد النعم لا إبراز التفاوت بينها، والتعديد أسير الواو من بين حروف العطف، أما إبراز التفاوت والترقي من خلق غريب إلى خلق أشد غرابة، فذلك مقام الإدلال بالقدرة، وذلك يناسبه (ثم) وهو الذي استوجبه السياق في موقعها من سورة الزمر حيث عجائب الصنع ودلائل القدرة التي تشهد لله بتفرده وعدم احتياجه إلى ما نسب إليه من الولد[٢].

وهذا التفات حسن إلى التفرقة بين المقام الذي يقتضي (الواو) والمقام الذي يقتضي (ثم) مع دقة النظر في تحديده المقام عند التطبيق بلا خلط ولا لبس، فاتفق له إحكام التنظير مع إحسان في التطبيق.

٣- له ترجيحات هي نتاج مناقشة كلام سابقيه في توجيه المشتبه:

ومن ذلك توجيه الفصل والوصل بين قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(البقرة:٤٩) بغير الواو، وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ

---

(١) ملاك التأويل ١/ ٩٨ .

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف ٢١٧، ٢١٨.

نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٦) بإثبات الواو، فيعرض قول الطبري، والرازي، والشهاب الخفاجي، ويذكر قول الزمخشري، والسعد التفتازاني في مطوله، والدسوقي في حاشيته... وبعد النظر في هذه التوجيهات ومناقشتها يعقب قائلا: "ورأي الطبري يمكن لحراس القواعد أن يتمسكوا به في تبرير الفصل والوصل، إلا أن الذوق البلاغي يميل مع الزمخشري ومن تابعه كالسعد"(١)، فهو يناقش في هذا الموضع أقوال البلاغيين والمفسرين ويضعف ويرجح معتمدا على الذوق البلاغي في ترجيحه، وهذا دليل سعة اطلاعه والوقوف عند ما كتب البيانيون والمفسرون في الموضع الواحد، فيجمع أقوالهم ويتتبعها قبل أن يوازن ويرجح، وكثيرا ما أعلن د/الخضري مثل هذا التحاكم إلى الذوق والحس في تنوع طرائق التعبير في عدة أساليب(٢).

وفي موطن آخر ينقل رأي الزمخشري في مجيء (يسألونك) في سورة البقرة ست مرات: ثلاث منها مسبوقة بالواو (ويسألونك)، وثلاث بغير عطف (يسألونك)، ويرى في تعليله قصورا يستدركه عليه السعد، ثم ينقل كلام السعد ويراه تعليلا لا يطفئ ظمأ، ولا يثلج صدرا – على حد تعبيره– ثم يعقب بعد نقل كلامهما فيقول: "والحق أنني لم أجد لأحد في هذا الموضوع كلاما أحسن ولا أدق مما قاله ابن المنير، وهو يكفيني مشقة البحث عن سواه، وهو من دقيق البيان"(٣)، ثم نقل كلاما طويلا لصاحب الإنصاف(٤).

وهذا جهد موفور في الموازنة بين كلام أهل العلم، لا يرضى بتعليل مجرد من الدليل، ولا يقنع بقول لا يثلج صدرا، بل يستحسن ويرجح أفضلها وأحسنها وأدقها في الموضع

---

(١) الواو ومواقعها ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) ينظر: السابق ٢٦٣.

(٣) ينظر: السابق ٣٩٠ – ٣٩٢ .

(٤) ينظر: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف: ابن المنير ١/ ٢٥٩ .

الواحد، وتلك همة عالية في البحث والتنقيب والموازنة بين أقوال سابقيه من أرباب البلاغة القرآنية تفضيلا وترجيحا وإنصافا لذوي الفضل والسبق.

ويناقش أقوال بعض النحويين والبيانيين والمفسرين حين عرض لسر مجيء الواو في آية سورة الحجر﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾(٤)، وعدم دخولها في آية الشعراء﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾(٢٠٨)، غير أنه عنى بما تشعر به الواو حين تأتي وما تكسبه من إيحاءات وظلال فحينئذ يرتضي توجيها يقول عنه: "وخير ما أراه مفصحا عن سر الواو هنا ما ذكره الطوفي[١]...قال الطوفي: وأنا أتكلم في وجه اختصاص آية (الحجر) بالواو وسقوطها في الشعراء، فأقول: لما كان الكتاب المعلوم لإهلاك القرية متقدما سابقا على وجودها، إذ المراد به إما الأجل المعلوم، أو تعلق علم الله تعالى بإهلاكهم، وكلاهما متقدم، والرسول المنذر لها وجوده مقارن لا سابق، ناسب ذلك اقتران الواو بالآية الأولى تنبيها على سبق الكتاب بإهلاكهم، وسقوطها من الثانية تنبيها على مقارنة الرسول لهم"[٢].

– وفي تغاير الصيغ في مشتبه النظم يجد للقرآن حسا دقيقا في التمييز بين دلالات الصيغ، ومنها الجموع الدالة على الكثرة، نحو: (عباد، وعبيد)، وقد اهتدى ابن عطية إلى سر التمييز بينهما في الاستعمال القرآني: وهو أن (عباد) يأتي في مقام الترفع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن، بخلاف لفظ العبيد فإنه للتحقير أو الاستضعاف[٣]. ولكن هذا النظر الدقيق من ابن عطية لم يقنع أبا حيان الذي

---

(١) هو سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري (ت٧١٦هـ)، ولد بقرية طوف من أعمال صرصر، في العراق، له (الإكسير فِي علم التَّفْسِير)، ينظر ترجمته: الأعلام، ١٢٧/٣.

(٢) ينظر: الواو ومواقعها ١٣٦، الإكسير فِي علم التَّفْسِير للطوفي٢٢٩، وأقول: للطوفي في تفسيره أقوال جيدة في توجيه مشتبه النظم القرآني.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٢/ ٢٧٥.

رأى أن اللفظين في الدلالة سواء، فإيثار أحدهما يكون مراعاة للفاصلة كثيرا[١]. ويرجح د/الخضري رأي ابن عطية فيقول: "ولا أجدني إلا مناصرا لابن عطية مؤيدا صحة استقرائه لمواضع الجمعين في الكتاب المجيد"[٢]، ثم يفصل القول في هذا على جهة الإحصاء والاستقصاء، حيث ذكر أن لفظ العباد ورد سبعا وتسعين مرة في الدلالة على الطاعة وإخلاص العبودية لله، وأن لفظ العبيد ورد خمس مرات تجسد ذل العبيد وضعفهم وعجزهم بين يدي الله، وهذا توجيه جيد، وترجيح في موضعه.

وحين نقل عدة أقوال في توجيه إفراد (الريح) وجمعها في مشتبه النظم، ناقش تلك الأقوال مفاضلا بينها، ثم عقب بقوله: "وخير ختام لحديث الإفراد والجمع في (الريح) ما قاله ابن القيم، وهو من أجود ما قيل"[٣]، فنقل كلامه، وأنهى به التوجيه، فرآه هو القول الفصل في المسألة.

ومن خلال ما نقله عن ابن القيم في عدة مواضع أجده يستريح إلى توجيهه وما يهتدي إليه من أسرار المغايرة، ويفضل قوله على كثير من الأقوال، وهناك شواهد أخرى من مشتبه النظم استثمر فيها بدائع فوائده[٤].

-وفي البحث عن سر المغايرة بين حروف الجر في مشتبه النظم في ثلاث آيات متشابهة: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾(الأعراف١٢٣)،﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾(طه٧١، الشعراء٤٩) يقول: " ولا أجد له تعليلا خيرا مما ذكره

(١) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٢٣١ .

(٢) الإعجاز البياني ١٧٤-١٧٩.

(٣) ينظر: الإعجاز البياني ٢١٠، ٢١١، وبدائع الفوائد١/ ١١٨، ١١٩ .

(٤) ينظر: الواو ومواقعها ١٦٨، نقلا عن بدائع الفوائد ١/ ٧٦، ٧٧، وينظر شاهد آخر: من أسرار حروف الجر ، ١٧٩، نقلا عن بدائع الفوائد ٢/ ٥، ٦.

الخطيب الإسكافي"، ونقل كلامه، ثم أعقبه بقول الغرناطي[1]، ووازن بينهما مرجحا فقال:"وكلام الإسكافي أدق، وأوجه"[2]، وهذا من جيد النظر على جهة الموازنة والترجيح بين أقوال الشيخين في المسألة الواحدة من علم المتشابه.

وفي التفرقة بين (على) و (إلى) مع فعل الإنزال في الآيتين:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾(البقرة١٣٦)،﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾(آل عمران٨٤) نقل قول الغرناطي[3]، ثم عقب قائلا: "وما قاله الغرناطي منقوض بكثير من آيات القرآن"، ثم يذكر قول الراغب ويعقب قائلا: "وهو منقوض كذلك بنصوص القرآن"، ويَرُدّ تعليل الآلوسي بالتفنن في العبارة[4]، ثم يرجح قائلا: "ولم أجد لأحد في ذلك كلاما يستريح إليه ضمير الباحث غير ما قاله الخطيب الإسكافي"[5]، ثم ينقل كلامه[6]. وكثيرا ما يروقه كلام الإسكافي، وإذا استحسنه، نقل النص كما هو وإن طال، وهو وهو جدير بهذا، فكتابه هو العمدة في بابه، وخلَفُه نسجوا على منواله، وأفادوا من تعليلاته.

وقد يجد في كلام غيره ما يقتضي الإنصاف العلمي تفضيلَه على قول الإسكافي، وتحقق هذا حين نقل عن الإسكافي تعليل المغايرة بين﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن

---

(1) ينظر: ملاك التأويل ١/ ٢١٩.

(٢) ينظر: من أسرار حروف الجر ٢١٣، ٢١٤ ، درة التنزيل ٩٨ .

(3) ينظر: ملاك التأويل ١/ ٥٢.

(٤) ينظر: تفسير الآلوسي ٢/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: درة التنزيل ٢٢٥.

(٦) ينظر: من أسرار حروف الجر ١٠٤- ١٠٧.

مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (المائدة ١٣)، ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾(المائدة ٤١) عقب بأنه " كلام لا بأس به، إلا أن ما قاله أبو حيان أجود، وأكثر استلهاما لمعاني الحروف"[١].

٤- ترجيحه كلام شيوخه ومعاصريه في توجيه المشتبه:

وكان – رحمه الله– صاحب اطلاع واسع، تأمل أكثر كلام المتقدمين، فانتقى أقربه إلى الصواب عنده فرجحه، كما يتضح من النماذج السابقة، ثم لم يهمل كلام شيوخه ومعاصريه، حيث رجح بعض أقوالهم، وأكتفي بذكر ثلاثة منهم:

الأول– شيخه د/محمد أبو موسى حفظه الله، أفاد منه عند توجيه تقديم هارون على موسى في قوله تعالى:﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾(طه: ٧٠)، ومدحه بكونه أقرب الآراء إلى القبول، لاعتماده على أساس متين، وهو السياق، فقال: "ولعل أقرب الآراء إلى القبول ما ذكره الدكتور/محمد أبو موسى معتمدا على وحي السياق، وهو أن بدء السحرة بمن ليس أفضل دالٌّ على إظهار قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها، وذلك أن الآية لم تظهر على يد هارون، ولم يكن هو الغالب، وليس في تقديم موسى الذي لقفت عصاه ما صنعوا شيء يلفت؛ لأنه هو الأصل، أما تقديم من لا دخل له في المعجزة التي عليها آمنوا، فهو الأمر اللافت؛ لأنه جاء على خلاف الأصل، ويلاحظ أن سياق سورة (طه) فيه فضل عناية ببيان حفاوة السحرة بهذه المغالبة واحتشادهم لها... وقد بدا لي رأي هو امتداد لما ذكره الدكتور/أبو موسى وتوسيع لدائرة السياق، تمتد فيه العناية من التركيز على احتشاد السحرة ومغالبتهم إلى إبراز دور هارون ومشاركته المؤثرة في الأحداث، ليكون ترتيب ذكرهما على سبيل الترقي بعد أن كان ذكره في السورتين على سبيل التبعية"[٢].ولا يعد رأيه إلا امتدادا لرأي شيخه وتوسعة لنظرته في السياق.

---

(١) السابق ٣٢٧، وينظر: البحر المحيط ٣/ ٦٦١.

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ١٨،وينظر:الإعجاز البلاغي: د/محمد أبو موسى١٩٩.

الثاني- نقل عن د/محمد أحمد الغمراوي (ت١٩٧١م)، واستحسن توجيهه وفضله، يقول: "لعل خير ما قرأت في التعليل لزيادة (مِن) في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾(٢٣)، وإسقاطها في آية يونس: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣٨)، هو ما قاله المرحوم محمد أحمد الغمراوي، وأسوق النص بطوله لما فيه من عظيم الفائدة..."[١]، ونقل عنه كلاما تجاوز الصحيفة، وملخصه: أنه لما ذكرت (مِن) التبعيضية، كان في التحدي تساهل وإرخاء يزيده قوة، كأنهم لما عجزوا عن المثلية التامة لسورة من القرآن كما في آية سورة يونس، طولبوا على وجه التعجيز بسورة تشبه أن تكون مثل القرآن أسلوبا ومعنى في موضع سورة البقرة، وهذا ترقٍ في التحدي في آخر صوره تجاوز به الذروة التي بلغها في آية سورة يونس[٢]. وهذا منظور فيه إلى ترتيب النزول، ومراعاة المتقدم والمتأخر نزولا.

الثالث- استحسن ما ذكرته الدكتورة/عائشة بنت الشاطئ (ت١٩٩٨م) في بيان سر إيثار الجمع الأقصى (المقابر) في موضع واحد انفردت به سورة التكاثر:﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[٢] مقابل خمس مرات في القرآن الكريم جاء فيها الجمع الآخر (القبور)، وذكر أنها أحسنت الكشف عن وجه الإعجاز في إيثار هذا الجمع، حيث جاء لفظ (المقابر) هنا غاية في التناسق والانسجام مع الفاصلة قبله:﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ وتناغم معها في الإيقاع والرنين، وتلاءم معها في الدلالة على غاية ما يتكاثر به المتكاثرون، وهذه الدلالة بما فيها من اتساع وعموم وشمول لا يمكن أن يقوم بها الجمع الآخر (القبور)، فحسنت الكلمة لفظا ومعنى[٣].

---

(١) من أسرار حروف الجر ، ٣٤٣، ٣٤٤ .

(٢) ينظر: الإسلام في عصر العلم ١٢٩، ١٣٠ .

(٣) ينظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ١٩٥، ١٩٦، التفسير البياني للقرآن الكريم: د/عائشة بنت الشاطئ ١/ ٢٠١.

٥- يستثمر د/الخضري كلام سابقيه من أهل العلم فيوسع به دائرة التطبيق، فيوضح ويفصل ما جاء في كلام سابقيه مقتضبا خاطفا، ويزيد من النكات والأسرار حين يفرع على أقوالهم ما يحتمله كلامهم، وينقل نصوص العلماء في المسألة من المتشابه إلى أشباهها ونظائرها، ويطبق عليها ليزيد القارئ يقينا وطمأنينة إلى ما قالوا، فهو يستنبت هذه البذور ويرويها حتى تكثر ثمارها، وإن الجملة أو الفائدة التي يأخذها موجزة، فيقلب النظر فيها بعقل ثاقب، وفكر عميق لينتج منها دقائق وأسرارا في عدة صحائف عليها ميسمه واجتهاده، ويظهر فيها عقله وذوقه، فيأخذ جوهرة من كلامهم فيردها جواهر، أو يضيء من زيت شجرتهم مصابيح على طريق مشتبه النظم القرآني، وأكتفي هنا بنموذج، وسأذكر لاحقا المزيد من تجديده في ضوء إشارات سابقيه.

حين نقل عن أبي السعود سر المغايرة بين الإفراد والجمع في آيتي سورة النساء﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(النساء:١٣، ١٤)، وكون الجمع (خالدين) للمنعمين تكريما بالأنس، والانفراد (خالدا) للمعذب لاستجلاب الوحشة والاغتراب، استثمر هذا التعليل في التحليل والتوجيه لتغاير الصيغ بين الجمع في شأن المنعمين والإفراد للمعذبين وذلك في ثلاث سور:(الدخان، الحاقة، ق)، فاتسع مجال النظر لدى د/الخضري ليشمل سور القرآن في ضوء بارقة أبي السعود(١).

بعد عرض تلك الثمرات مختلفا ألوانها، وهذه النماذج الكاشفة عن عمق تأمله نصوص سابقيه ومعاصريه، ومزاحمته العلماء بفهم ثاقب، وعقل واع، ومناقشة قوية، وترجيح

(١) ينظر:الإعجاز البياني ٢٩- ٣٢ ، تفسير أبي السعود ٢/ ١٥٤.

مشفوع بالدليل القائم على التأمل واستقراء النظائر والأشباه، يتقرر أنه كان يوافق علماء المتشابه ورجال البلاغة القرآنية كثيرا، ويؤكد أقوال سابقيه بالدليل، ويعضدها بقرائن متعددة وأدلة واضحة، ويخالفهم أحيانا إذا لاح له من أنوار الفتح الإلهي ما يتجلى به التمايز وأسرار المغايرة، مع ظهور أدب الخالف مع السالف.

ثالثا- الجدَّة في توجيه مشتبه النظم:

لقد هُدِي – رحمه الله– إلى كثير من الأسرار التي لا وجود لها عند سابقيه، فأنشأها إنشاء، وجعلها أبكارا؛ أداء للواجب، وإكمالا وتتميما لعملهم، ويتضح هذا الاجتهاد والتجديد حين يتغلغل في تأمل المشتبه، فيستخرج منه توجيها ما كان يعلمه المتعجل، ولا يحسب القارئ أنه يخرج هذه الخبيئة من لطائف المتشابه، فلله دره حين يعثر على جوهر كامن في أصدافه، ولؤلؤ مكنون، فيبهر العقول، وتطمئن النفس إلى توجيهه.

وجديد التوجيه عنده على ضربين: الأول– تمثل في إضافة توجيه لآيات سبق العلماء إلى توجيهها، ولكن ظهر له فيها اجتهاد حسن، والآخر– وهو عمل أشق وأعمق من الأول– حين يذكر توجيها لآيات لم يجد لغيره فيها توجيها .

والضرب الأول ترى فيه المؤلف يأخذ كلام علماء المشتبه، أو أقوال المفسرين البيانيين، فيقلب النظر والفكر فيها ليبسط ما انطوي عليه النص، ويسبح في جنباته، ويسبر أغواره، فيتجلى فيما استخرجه توجيهات تطلق لسان الحامد، وتكسبها جدَّة، وتجعله أحق بأن ينسب إليه هذا العطاء الجديد.

وحين يزيد على كلام سابقيه توجيها آخر يؤكد للباحثين في هذا العلم اتساع المجال لتعدد التوجيهات وتنوعها في الموضع الواحد، بتعدد الزوايا التي يتجه إليها النظر، فالآيات هي الآيات، والسورة هي السورة، لكن التوجيه متغاير بلا تعارض، وهذا يثري علم المتشابه، ويغري بالاجتهاد فيه. وما أحسن قول الدكتور/دراز: "ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهًا عدة. كلها صحيح أو محتمل للصحة، كأنما هي فصٌّ من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعًا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة، بهرتك بألوان الطيف كلها، فلا تدري ماذا تأخذ

عينك وماذا تدع. ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك، رأى منها أكثر مما رأيت. وهكذا نجد كتابًا مفتوحًا مع الزمان، يأخذ كل منه ما يسر له؛ بل ترى محيطًا مترامي الأطراف، لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال"[١] .

والضرب الثاني يستدرك فيه على بعض المفسرين وعلماء المتشابه آيات تشابه نظمها، ولم يبينوا فروقها وأسرار المغايرة بينها، ويرصد أنه لم يجد أحدا ذكرها... معتمدا على الاستقصاء والإحصاء وتتبع المواضع في القرآن كله بما لديه من إحضار للأشباه والنظائر، وفي هذا الضرب توسيع لدائرة الشواهد والتطبيق في المتشابه، بعد أن وقف على ما قاله سابقوه حول أسرار متشابه النظم في بعض الآيات، انتقل منها إلى أشباهها وأمثالها ونظائرها مما لم يذكره سابقوه، فجمع النظير إلى النظير، ووازن بين الآيات المتشابهات، فكشف عن أسرار بلاغية بديعة وضروب من الإعجاز في تغاير حرف العطف (الواو، الفاء، ثم)، وتغاير حروف الجر.... وقد بذل جهدا كبيرا في استكشاف أسرار ما لم يجد له عند أحد توجيها ولا تعليلا، فأضاف توجيهات هدي إلى أسرارها، واجتهد في تعليلها، وفتح آفاقا جديدة، وأنشأ أبكارا، وحين جمع المتشابهات، وقدح زندها، أورى وأضاء طريقا يسير فيه الباحثون، فأبقى في أعناق المتشابهات جواهر نيرة، وحلية ساطعة.

ومن نماذج الضرب الأول: عند توجيه التقديم والتأخير بين قوله تعالى:﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾(الحجر:١) وقوله تعالى:﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(النمل:١) ينقل قول الزمخشري الذي يجعل التقديم والتأخير سواء[٢]، ولا يرتضيه، بل يعد الوقوف عند هذا الحد من تقصير البلاغيين، ويذكر في هذا الموضع أيضا محاولة

---

(١) النبأ العظيم، ص١١٧.

(٢) عبارة الزمخشري: "فإن قلت: ما الفرق بين هذا وبين قوله:﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾؟ قلت: لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدّم والتأخر... وهو جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب" الكشاف ٣/ ٣٤٧ .

الشهاب الخفاجي[١] تعليل التقديم والتأخير وأنها لم تثمر شيئا، ثم ينقل كلام الدكتور/أبي موسى: "نظرت في بيان وجه التقديم في هذه الآيات، ولكنني لم أهتدِ إلى شيء أطمئن إليه في الترتيب بين: الكتاب، وقرآن مبين، وإن كنت أثق أن هناك سرا محجبا لم يرني الله إياه"[٢]، ويعقب د/الخضري قائلا: "وهذه في نظري كلمة حق يجب أن يقولها كل من يتصدى للقرآن الكريم فيستغلق عليه فهم سر من أسراره عسى أن يهتدي إليه سواه" ثم يقول: " وما هداني الله إليه هو أن التقديم والتأخير يفسره مفهوم الكتاب والقرآن وسياق الكلام، فالمغايرة بين القرآن والكتاب ليست في الموصوف، وإنما في الوصف، فالقرآن دالٌّ على معنى البيان والهداية بحكم كونه متلوا عليهم يقرءونه ويسمعونه، وأما الكتاب فيدل على ما هو مسطور كشاهد ودليل إدانة على من لا يستجيبون لهديه، فإذا كان السياق حديثا عن الكفر ووعيدا بالعذاب، يقدم الكتاب؛ لأنه الأهم في تسجيل الكفر والشهادة بإدانة الكافرين، وإذا كان الموطن للاهتداء به والاستجابة لما فيه، قدم القرآن، ومن ثَم قدم الكتاب في سورة الحجر، وقدم القرآن في سورة النمل، تبعا للسياق [٣].

وهذا النهج فيه عدة وقفات وملاحظات يحسن تسجيلها:

الأولى- الإنصاف في مسائل العلم، تجلى ذلك في قوله عن تعليل الشهاب "محاولة لم تثمر شيئا"؛ لأن السؤال ما زال باقيا، وما أشبع نهم المتطلع إلى سر التقديم والتأخير، وما وصل إلى اللبنة الأخيرة، لأنه يرى أن الوقوف عند ما انتهى إليه النحويون – من جواز التقديم وصحته – تقصير من البلاغيين، ويجب البحث عن سر التقديم وبلاغته.

الثانية- وافق شيخَه العلامة/أبا موسى في تقرير هذه الفائدة "لم أهتد إلى شيء أطمئن إليه"، معلنا أن ما قاله "كلمة حق"، وتوقفُ العالم – إذا لم يعلم – إنما هو من

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب الخفاجي ٧/ ٣٠ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: د/ محمد أبو موسى ٢٨٨.

(٣) ينظر: الواو ومواقعها ١٧٧ ، ١٧٨ .

الأصول الراسخة لدى العلماء الربانيين، سيما فيما يدق ويخفى، لئلا يقول رجما بالغيب، وخوضا فيما لا يعلمه، وقد كان هذا أصلا راسخا عند د/الخضري في دراسته مشتبه النظم، حيث صرح بما يدل على احتذائه نهج شيخه والمخلصين من أهل العلم، فقال: "والوجه عندي فيما استغلق سره، واحتجب وجه المغايرة فيه أن نسلم بأن هناك سرا أخفاه الله عنا؛ ليظهره على يد غيرنا ... والحق أن كثيرا من ذلك أمسكت عن الخوض فيه، حين أدركت أن سره قد احتجب عني كما احتجب عن غيري، لعل الله يلهم غيري ما لم يلهمنيه"(١). وفي عبارته إغراء للباحثين – في علم مشتبه النظم – باستكمال جهد السابقين، وحث على محاولة الاجتهاد فيما توقفوا فيه، أو سكتوا عنه، فكم ترك الأول للآخر!

الثالثة– أدب الشيخين وتواضعهما: يظهر ذلك في عبارة الدكتور/أبي موسى بنسبة عدم الهداية إلى نفسه:" لم أهتد..." على حين نسب الدكتور/الخضري الهداية إلى الله فيما فهمه من توجيه المشتبه: "وما هداني الله إليه هو..."، وهذا مما شاع وكثر في كلامه، حيث يصدر اجتهاده بنسبة الفضل إلى الله فيما فتح به من أسرار العلم، وهو نهج حسن ذو تعبير رقيق يفيض منه الأدب والتواضع، وهما خيار من خيار!

وهذا النهج يكف الباحث عن الإعجاب برأيه أو التيه والتفاخر على سلفه وشيوخه إذا علم ما لم يعلموه، أو اهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه من المواهب التي قسمها الله بين أهل العلم المجتهدين.

الرابعة– ينبهنا ما ذكره الدكتور/أبو موسى إلى صعوبة هذا العلم الذي يدق ويغمض مسلكه، وتتوارى أسراره وراء الحجب، وهو علم توجيه مشتبه النظم القرآني، وفيه من الخفاء ما يحوج إلى جهد جماعي لا فردي؛ لتتكامل الجهود وتكتمل بفكرهم تلك التوجيهات التي تثريه، فما تزال بعض الأسس والضوابط خفية خبيئة تحتاج إلى مزيد من الجهود الجماعية.

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني ١٩٩.

وهاك نموذجا آخر للضرب الأول: في توجيه مجيء (دارهم) مفردة في سورة الأعراف في كلٍ من القصتين: قصة ثمود، وقصة قوم شعيب﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾(الأعراف٧٨، ٩١)، ومجيئها بالجمع في سورة هود في القصتين ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾(هود٦٧، ٩٤)، وقد نقل قول الإسكافي[١]، وقول الغرناطي[٢]، ثم عقب بعدهما قائلا: "وقد وجدت مما هداني الله إليه وجها آخر لا يزاحم ما التمعت به بوارق الهداية فيما قاله الشيخان، ومرده إلى نوع الخطاب، وهو مختلف في السورتين، إذ كان خطاب النبيين في سورة الأعراف خاصا، موجَّها إلى الملأ المستكبرين من قومهما، فجاء توحيد الدار متناسبا مع هذا الخطاب الخاص...أما في سورة هود، فقد كان الخطاب عاما، والحوار بين النبيَّينِ وأقوامهما، وليس بينهما وبين الملأ من قومهما"[٣]. ويسمي الإسكافي وابن الزبير الشيخين، أي في علم المشتبه، كالبخاري ومسلم في علم الحديث، وهذا من الثناء والاعتراف بفضل العلماء، وإنزالهم منازلهم.

ومن نماذج الضرب الثاني: وهو بصدد البحث عن سر التقديم والتأخير في الفواصل: ومنها قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾(آل عمران٤١)، قدم العشي، وعكس ذلك في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(مريم١٠، ١١) يقول: وقد حاولت أن أجد فيما قرأت من يستفتح عليَّ

(١) ينظر: درة التنزيل ٨٧ .

(٢) ينظر: ملاك التأويل ١/ ٢٠٠، ٢٠١ .

(٣) ينظر: الإعجاز البياني ٢١٦- ٢١٩.

في بيان سر التقديم والتأخير في الموضعين، فلم أجد، واحتجب عني هذا السر حتى كدت أسلم بأنه ليس وراء ذلك من غرض سوى تحقيق التناسب في الفواصل، لكن الله هداني – بعد طول توقف – إلى أن هذه المغايرة استدعاها تغيير الخطاب، وذلك أن المخاطب المأمور بالتسبيح في سورة آل عمران هو زكريا – عليه السلام– والمخاطب المأمور بالتسبيح في سورة مريم هو من أُرسِل إليهم زكريا – عليه السلام – وبين الخطابين والمقامين يقع الإعجاز في ترتيب النظم، فزكريا قُدم معه العشي، وتسبيحه فيه يستتبع قيام الليل والانقطاع إلى الله في هذا الوقت الذي يصعب على غير المقربين مواصلة العبادة فيه... أما غير الأنبياء والمقربين، فإن جل تسبيحهم وصلاتهم بالنهار على قدر ما يطيقه عامة المؤمنين؛ لذا قدم ما هو الغالب على عادة الناس في خطاب زكريا لقومه"(١).

وحين يوجه الذكر والترك في الإعجاز البلاغي الذي يتعانق مع الإعجاز العلمي يقول: "آية سورة فاطر﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾(١٢) تقيم موازنة بين البحرين العذب والملح دون أن تذكر تجاورهما أو التقاءهما، وإنما تتحدث عن منافعهما واختلاف صفاتهما الطبيعية؛ ولذلك وجدنا زيادة في وصف المياه العذبة (سائغ شرابه) ولم نجدها في آية الفرقان﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾(٥٣)، وهي أهم المنافع في الماء العذب الذي به قوام الحياة البشرية واستمرار بقائها، وذلك ما ينفرد به الماء العذب"(٢). وهذا مما انفرد به د/الخضري، ولا أعلم من وجَّه ذكر (سائغ شرابه) من علماء المشتبه.

---

(١) الإعجاز البياني ١٨٥، ١٨٦.

(٢) دراسات في إعجاز القرآن ٢٩٨.

وفي عطف الإنباء بالعمل على الرجوع إلى الله بالفاء في جميع ما جاء في الذكر الحكيم، عدا موضعا واحدا عطف فيه بحرف التراخي﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأنعام ٦٠)، يقول: وقد تطلبت تفسيرا للمخالفة في آية سورة الأنعام التي انفردت بحرف التراخي، فلم أعثر على ضالتي في كل ما قرأت، ولم يقرنه أحد بموضع من مواضع الفاء؛ ليستجلي سر المغايرة، وقد هداني الله تعالى بعد طول تأمل ومراجعة إلى ما أرجو أن يكون مقصدا من مقاصد النظم في إيثار حرف التراخي: ذلك أن الرجوع إلى الله في غير آية الأنعام يقع كناية عن لقاء الله للمجازاة على عمله، وإنباءُ الله المجازين بعملهم ضربٌ من المحاسبة يعقب الرجوع إلى الله يوم القيامة، فدخلت الفاء للدلالة على أن الحساب يعقب الرجوع إلى الله بلا تراخ... أما آية الأنعام فقد اختص الرجوع فيها بالكناية عن الموت، ووقع الإنباء بالعمل كناية عن المجازاة ثم ينبئكم بما كنتم تعملون، فكان ذلك موقع حرف المهلة لما بين الموت والمجازاة يوم القيامة من زمن طويل ممتد، فالتراخي على حقيقته، وذلك موضعه الذي لا يصلح فيه سواه[1].

وعن إيثار حرف الاختصاص في آية سورة الجمعة﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾[9] وإيثار حرف الانتهاء في آية سورة المائدة﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾(٥٨) يقول: "وقد حاولت العثور على تعليل لذلك في مظانه، فلم أجده، فاجتهدت...وأرى أن فعل النداء حين يعدى بـ (إلى) يكون الغرض حث المنادى على القصد إلى الشيء والانتهاء إليه، وحين يعدى بـ (اللام) يكون الغرض تخصيص النداء بالشيء المطلوب؛ إظهارا للاهتمام به، ووفور الرغبة في تحقيقه، وهذا الفرق الدقيق من أجله جاءت (إلى) في نداءٍ

([1]) ينظر: من أسرار حرف العطف ٢٨٤، ٢٨٥ .

عامٍّ لكل سامع وإلى عموم الصلوات، وحين كان النداء للمؤمنين ولصلاةٍ خاصةٍ في يوم خاصٍ، وهي صلاة الجمعة، ولها في الشريعة مكانة خاصة، جاءت (اللام) تعبيرا عن اختصاصها بالنداء"[1].

رابعا- تحريك العقل نحو اللبنة الأخيرة في التوجيه، وإثارة بواعث الاجتهاد:

يثير أسئلة حول سر تخصيص الآية بما اختصت به دون الآية الأخرى التي تشبهها في الألفاظ أو النظم، وجعلها في موضع نظيرتها ينافي مقصود ذلك الموضع وسياقه وسماته وتراكيبه ومادة مفرداته وأصواته، فلا يليق بكل موضع من المتشابهات في النظم المعجز إلا الوارد فيه، وكذا اختصاص كل سورة بحيث لا يصح أن يجعل ما جاء في هذه السورة من المتشابه مكان ما جاء في السورة الأخرى، فيثير بتلك الأسئلة تفكير المتأمل ويحرض المتدبر أن يراجع النظم، ويتتبع مواضع المشتبه حصرا واستقصاء حتى يقدم جوابا يقبله العقل، وحين يثير السؤال ويردفه بالجواب عنه، يقتفي في هذا نهج سالفيه ممن صنفوا في علم المشتبه، ويسلك مسلكهم، وهذا واضح عند إمامهم ورائدهم الخطيب (ت٤٢٠هـ) في درة التنزيل، ومن تبعه في ذلك كابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨ هـ) في ملاك التأويل، وابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) في كشف المعاني.

وانتقل من صحة الأساليب التي انتهى إليها المفسرون والنحويون، فترقى مرقبا فوق ذلك، لمعت فيه ومضات الحروف وإيحاءاتها، وبان سر تغايرها، ولم خص هذا الموضع بهذا الحرف دون شبيهه الذي خص به الموضع المشابه؟ مراعيا تنوع السياق، والبحث في الدواعي التي من أجلها حصل الافتراق في استعمال الحروف، وتسمَّع إلى همس السياق.

ومن مظاهر ذلك أنه نقل عن الزمخشري الفرق الدقيق بين تعدية الفعل (أسلم) بـ (اللام) في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ

([1]) من أسرار حروف الجر ، ٢٣٤، ٢٣٥.

﴾(البقرة١١٢)، وتعديته بـ (إلى) في قوله:﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ (لقمان٢٢)، ثم قال: "وهذه عادة جار الله في الوقوف على دقائق الفروق بين الحروف، غير أنه لم يكشف لنا عن سر إيثار كل حرف في موضعه، وما يستوجبه من دواعي السياق وأغراضه"[١]، ويذكر هو – كعادته – سر اختصاص كل حرف بموضعه.

ولهذا يعجبه استدراك السعد على الزمخشري حين اقتصر جواب الزمخشري على تعليل الفصل والوصل دون أن يبين سر إيثار الفصل والوصل في موقعيهما، فكان تمام الجواب من السعد[٢] .

وهو خبير بمراحل التوجيه، لا تتوقف همته العالية المصحوبة بطول التأمل حتى يبلغ مبلغا يحسن السكوت عنده، وهو ما يسميه (اللبنة الأخيرة) في التوجيه: ومن أمثلة ذلك: في الحديث عن إدخال الفاء وتركها فيما تشابه نظمه يبدأ في النقل عن المفسرين من رجالات البيان، فيذكر رأي الزمخشري في التفرقة بين نظمين متشابهين، ثم عقب قائلا : لكن الزمخشري لم يقل لنا ما سر اختصاص كل منهما بموضعه؟ ولم دخلت الفاء لتدل على ما دلت عليه في الثانية دون الأولى؟ ولعمرك هذا هو عمل البلاغيين، وما قاله الزمخشري تحرير للمعنى لا تفسير لبلاغة النظم، ثم ذكر أن البيضاوي تقدم خطوة حين أشار إلى أن ترك الفاء أبلغ هنا... وبنى عليه أبو حيان، ولكنه لم يضع اللبنة الأخيرة في بلاغة هذا التركيب، ثم يفيض د/الخضري على نحو مبين كاشف عن سر اختصاص كل موضع بما خص به[٣].

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ٢٢٥، الكشاف ٣/ ٤٩٩.

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف ١٠٦، حاشية السعد على الكشاف ٢/٥٩٨.

(٣) ينظر: من أسرار حروف العطف ١٤١، ١٤٢.

وتلك هي المرحلة المهمة التي أولاها عناية واهتماما، فقطع المسافات من أجل بلوغ هذه المرحلة الأخيرة من التوجيه، وهي المسكوت عنها في كلام سابقيه، وبذلك يتدرج في التوجيه مع سابقيه حتى يبلغ أكثر مما بلغوا، ويكمل ما بدأوا، وينشئ أبكارا، ويبعث اجتهادا، فيحمد له هذا التجديد بتحريك العقول من الجمود والوقوف عند ما كُتب إلى البحث عما لم يكتب فيه .

ودلل بما درسه على أن هذا العلم بحاجة إلى دراسات تكمل جهد السابقين، وتتمم ما بدأوه، وتوضح ما أبهم، وتفصل ما أجمل، وتستنبت قواعدهم في أودية مترامية الأطراف .

خامسا- عرض توجيه الآيات المتشابهة على وجه الاستقلال تارة، وعلى جهة التبعية تارة أخرى:

يعرض توجيه المشتبه على نمطين: النمط الأول – وهو الكثير الغالب – يأتي منثورا مفرقا في ثنايا كتبه، يعرض له المؤلف اذا اقتضى البحث العلمي ذكره، وحينئذ يوفيه في أي موضع اتفق مجيئه، ويقتصر على توجيه الآيات التي يتطلب موضوع بحثه توجيهها، وإن أطال أحيانا، واستكثر من النظائر، فلعله قصد مزيد الإقناع.

وأما النمط الآخر، فتمثل في إفراده مشتبه النظم بفصل مستقل، أو إفراده بمبحث مستقل، وقد صنع هذا في ثلاثة من مؤلفاته القيمة :

الأول– في كتابه:(الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ) جاء الفصل الرابع بعنوان: (تناسق الصيغ في مشتبه النظم)، ويفتتح هذا الفصل مستنكرا توجيه المغايرة بين الصيغ بالافتنان؛ لأن القول بالافتنان في المشتبه يهمل الفروق الدقيقة بين الصيغ، ثم يستطرد إلى نماذج كاشفة ومقررة وجه المغايرة وفق اجتهاده وتأمله حسبما فتح الله له، ووقف في هذا الفصل طويلا حتى أتى على ثلاث عشرة لفظة وردت في مشتبه النظم تارة بالإفراد، وتارة بالجمع[1].

(١) ينظر: الإعجاز البياني ١٩٧ –٢٤٣.

الثاني- في كتابه:(من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم) خصص الفصل الثالث لمشتبه النظم، فجاء بعنوان:(التعقيب والمهلة في مشتبه النظم)[١]، وبدأه بالإسراع إلى تحقيق أمر مهم يبنى عليه أصل أصيل في التوجيه، ملخصه أن قول النحويين بصحة تبادل الحروف تلقفه كثير من المفسرين، وبنوا عليه توجيه المتشابه، وإن لم يكن كافيا، ولا مبرزا أسرار المغايرة في متشابه النظم، وأذكر من نفيس قوله: "من روائع موقع (الفاء) و (ثم)، وأدلها على إعجاز القرآن في وضع الحرف موضعه الملائم له، ما تعاورت فيه مواقعهما من مشتبه النظم الحكيم، ولدقة هذه المواضع وخفاء أسرارها اندفع الباحثون في معاني الحروف إلى القول بصحة تبادل الحرفين مواضعهما، معلّلين ذلك بأن المعطوف الممتد زمنه إذا نُظر إلى ابتدائه، قصر الزمن بينه وبين ما عطف عليه، فاستحق حرف التعقيب، وإذا نُظر إلى انتهائه، طال الزمن، فاستوجب حرف المهلة". ثم يعقب بما يكشف عن همة عالية لا تقنع بالسهل ولا الظاهر، فيقول: "وبرغم إعجاب كثير من المفسرين بهذا التعليل للمغايرة بين الحرفين في المواقع المتشابهة، فإنني أرى أن مثله لا يقنع الباحث عن أسرار المغايرة، وما يشيعه كل حرف في سياقه من دلالاته الخاصة، فضلا عن أنه لا يجيب عن أهم سؤال، وهو لماذا أوثر كل حرف في موضعه؟ "[٢].

ثم وقف د/الخضري عند سبعة نماذج لمشتبه النظم بين التعقيب والمهلة في سياقات وأغراض متنوعة: في أطوار النبات، وفي أطوار الإنسان، وطي زمن التذكير ومطله، وتعجيل النظر وتأجيله، وآثار الزمن في مضاعفة العذاب، والجزاء بين المبادرة والإهمال، وتطويع الزمن لأغراض النظم. وبهذه الشواهد المتنوعة في أغراضها ومقاصدها يظهر إحاطته وسعة اطلاعه في علم المشتبه، فهو يمتلك قدرة فائقة تمكنه من جمع النظائر والأشباه، واستحضارها، واستكناه أسرارها اتفاقا ومغايرة، مع عمق تأمله في سياقاتها الجزئية والكلية،

(١) من أسرار حروف العطف ٢٦٥- ٢٨٨.

(٢) السابق ٢٦٧ .

وما حظي به من النظر الثاقب في خصائص السور الواردة فيها الآيات المتشابهة، وكأن أقوال المفسرين والبلاغيين بين عينيه يرُد منها بالدليل ما لا ينهض، ويرجح ما اطرد وكثر، ويدقق في تطبيقه على النظائر الأخرى في القرآن كله، ثم العجب العجاب مما أوتي من دقائق الفهم في كشف أسرار المغايرة نسقا ولفظا ومعنى وسياقا وتلاؤما وأسلوبا.

الثالث– في كتاب (الواو ومواقعها في النظم القرآني) أفرد مبحثا بعنوان: (حذف الواو وإثباتها في المتشابهات ودقائق الأسرار فيهما)، عرض فيه تحليل خمسة شواهد من مشتبه النظم(١).

وبهذين النمطين درس المشتبه تارة مفرقا في ثنايا المباحث المتنوعة، وتارة مستقلا بفصل أو مبحث، ولم يكن هدفه الإحاطة بجميع المتشابهات في القرآن موازنة وتوجيها، ولم يفرده بكتاب مستقل، وإن كان – فيما يظهر لي – قادرا على إفراده وتتبع الآيات المتشابهة آية آية وسورة سورة، ليضيف إلى ما ذكره سابقوه. وعلمُه وموهبته ورجاحة عقله وذوقه البلاغي وسعة اطلاعه في هذا العلم على تراث النابهين قديما وحديثا... كلها أدوات تؤهله لمثل هذا.

سادسا- مراعاة الحصر والاستقصاء للآيات المتشابهات قبل التوجيه:

جاءت دراسة الدكتور/الخضري – رحمه الله– مبنية على الحصر، والإحصاء الدقيق، والتتبع الشامل، والاستقصاء التام للآيات المتشابهة قبل توجيهها، وهو نهجه الذي يظهر في عدة مواضع من مؤلفاته، منها على سبيل المثال: حين ذكر أن تقديم (الغفور) على (الرحيم) ورد في فواصل القرآن في أكثر من سبعين مرة، ولم يرد تقديم (الرحيم) إلا مرة

(١) الواو ومواقعها ٣٨٣ – ٣٩٢ .

واحدة في موضع سورة سبأ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾[٢]، ثم ذكر سر المغايرة[١] .

وفي ترتيب صفات الله يقدم النظم إحدى الصفتين(العليم)(الحكيم) في موضع، ويقدم الأخرى في موضع آخر من مشتبه النظم، فيذكر أنه اجتمعت هاتان الصفتان في القرآن ستا وثلاثين مرة، تقدمت (العليم) في ثلاثين منها، وتقدمت (الحكيم) في ستة مواضع[٢]. هكذا قال، والصواب تقدم العليم في تسعة وعشرين موضعا، وتقدم الحكيم في سبعة مواضع.

ومما روعي فيه الحصر فأفضى إلى لطيفة امتزج فيها الإعجاز العددي باطراد النظم القرآني، قوله: وقد تتبعت ما جاء في القرآن من مادة (الإنزال)، فأحصيت منها سبعة وعشرين موضعا عديت بـ (على)، ومثلها عديت بـ (إلى)، فيما خص فيه الإنزال بمن نزل عليه الوحي من النبيين ولم يشاركهم فيه من أمروا بتبليغه إليهم، هذا التساوي بينهما في العدد لا بد أن يلفت النظر، ويستدعي الوقوف عند هذا الضرب من الإعجاز، وتفسير ذلك عندي أن هذا التساوي هو دليل على التوازن بين مواطن التشريف ومواطن التكليف، أو قُل إنه تكافؤ الحقوق والواجبات، وذلك إذا نحن سلمنا للإسكافي بأن (على) تأتي دالة على التشريف، و(إلى) تنحو منحى التشديد في التبليغ والعمل بالمنزَّل، ونحن مسلِّمون له ذلك – إن شاء الله – بناء على استقراء هذه المواضع جميعا، حيث وجدت ما يشبه أن يكون ظاهرة عامة تبدو فيها روح التكريم والتشريف للأنبياء في كل المواطن التي تعدت بـ (على)، وروح الحث والاستنهاض وحدة النبرة في الدعوة إلى التمسك بالمنزل فيما تعدى بـ (إلى)[٣].

---

(١) ينظر: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة٤٩، وينظر نماذج أخرى على سبيل الأمثلة للإحصاء الدقيق في دراسة مشتبه النظم: الإعجاز البياني ٢٠٩، من أسرار حروف الجر ١٠٧.

(٢) ينظر: من أسرار المغايرة ٤٦.

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر ، ١٠٧ وما بعدها.

ويتجلى هذا النهج بوضوح أكثر حين أذكر ما أورده من ضوابط كلية وقواعد مطردة بنيت على الحصر، والاستقصاء.

سابعا- كثرة الشواهد والنماذج في المسألة الواحدة:

لا يخفى على الناظر في مؤلفات د/الخضري- رحمه الله- كثرة الاستشهاد بالآيات المتشابهة في المسألة الواحدة أو موضوع بحثه؛ ليوضح الفكرة، ويؤيد صحة الضابط سيما إذا خالف رأي سابقيه، فيقوي رأيه بالحجج وكثرة الشواهد؛ ليقرر صحة ما ذهب إليه على وجه الإقناع، متكئا على التتبع والاستقصاء لما يشبه الآية محل التحليل والدراسة في جميع سور القرآن؛ ليسلم قوله مما ينقض أسسه ويهدم ضوابطه، وينتقل بالقارئ من الآية إلى ما يشبهها، ثم إلى شاهد آخر، أو دليل آخر... وهكذا كأنما هو في بستان ينتقي من أزهاره وثماره، فيتجلى في التطبيق ما لا يتجلى في التنظير.

وتجنبا للإطالة أحيل القارئ إلى سبعة نماذج لمشتبه النظم بين التعقيب والمهلة في سياقات وأغراض متنوعة في الفصل الثالث من كتابه:(من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم)، وجهها توجيها جيدا مفصلا[١].

كما أضع يد القارئ على توجيهه ثلاث عشرة لفظة وردت في مشتبه النظم تارة بالإفراد، وتارة بالجمع في الفصل الرابع (تناسق الصيغ في مشتبه النظم) من كتابه:(الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ)[٢]. وفصل القول في توجيه خمسة شواهد عرضها عند (حذف الواو وإثباتها في المتشابهات ودقائق الأسرار فيهما)[٣].

---

(١) من أسرار حروف العطف ٢٦٥- ٢٨٨.

(٢) ينظر: الإعجاز البياني ١٩٧ -٢٤٣.

(٣) الواو ومواقعها ٣٨٣ – ٣٩٢ .

المبحث الثاني

أسس توجيه مشتبه النظم القرآني عند د/ الخضري:

يأتي اجتهاد د/الخضري في توجيه المشتبه قائما على أسس تنفي التكلف والتعسف عن النتائج؛ لأنه اهتدى بتلك المنارات، وهذه الأسس منها ما يعتمد عليه في التوجيه المعنوي، ومنها أسس في التوجيه اللفظي، على أن عنايته الكبرى وغرضه المؤم أمر المعاني؛ ولهذا استنطق الدلالات المعجمية، والإيحاءات الصوتية، والصيغ الصرفية، والأساليب والصور البلاغية... وبعد طول النظر في توجيهاته يحسن أن أذكر بعض الأسس التي بني عليها التوجيه، ومنها أسس لغوية: صوتية، أو نحوية، أو صرفية، أو بلاغية، أو دلالية ...ومنها أسس مستمدة من علوم القرآن كأسباب النزول.

وأبدأ – أولا – بالأسس اللغوية التي اعتمد عليها في توجيه المشتبه مصحوبة بالشواهد والنماذج:

– في الجانب الصوتي يسمعك د/الخضري أثر ما يتمتع به من أذن واعية، وإحساس رهيف يحس بجرس اللفظة، ويتسمع همس الإيحاء، ظهر هذا في تعليل المغايرة بين (عباد) و(عبيد) في مشتبه النظم، فالانتقال في كلمة (عِبَاد) من الكسرة إلى الفتحة، ثم إلى الاستطالة بالألف الرامزة إلى الرفعة وانتصاب القامة، يشير إلى أن الانتساب إلى الله بعبادته ينقل الإنسان من وهدة الرذيلة والخنوع للنِّدِّ من البشر إلى سمو النفس والوجه في حضرة المعبود، وأما الانتقال في (عَبِيد) من الفتحة إلى الكسرة، فالاستطالة بالياء، يوحي بانكسار النفس واستغراقها في الذل، ومهانتها باستعباد الناس لها[1].

([1]) ينظر: الإعجاز البياني ١٧٤ .

وهذا ملمح لطيف في توجيه المتشابه، والكشف عن دقة اصطفاء المفردة بإمساس اللفظ شبه المعنى الموحي به، فكل صيغة منهما جاءت على بنية ترمز إلى دلالة إيحائية خاصة، والقرآن يطوع الخصائص الصوتية وبنية الكلمة لمحاكاة المعاني التي تلفت إليها، وقد أجاد د/الخضري في بيان هذا؛ لأنه يمتلك حسًّا قويا يتسمع لإيحاءات أصوات الحروف وحركاتها، فيجعله أداة للتوجيه.

وعبارة د/السامرائي موجزة "(عباد) من الدرس الصوتي فيها عزة وشموخ، والياء في (عبيد) فيها انكسار وخضوع وهبوط"[1]. غير أن كلام الخضري أكثر عطاء.

وكذلك ما ذكره في توجيه تأخير الاسم الجليل في آية ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(الانفطار ١٩) بقوله: "تأتي الفاصلة بهذا المد الذي يضاعفه الوقف على السكون العارض، بما يستلزمه من إطالة الصوت بلفظ الجلالة، المنتهي بالهاء الساكنة، العميقة في مخرجها، الهامسة في صوتها، المؤذنة بالاستقرار والدعة بعد تسليم الأمر لمالكه؛ ولذا لم يقدم لفظ الجلالة للاختصاص على عادة النظم القرآني كما في مثل قوله تعالى:﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾(الشورى ٤٩)، حتى لا يفوت هذا السحر في الأداء إيقاعا، وليبقى الاسم العظيم ملء الأسماع والقلوب، وآخر ما يدوي في الآذان"[2].

– يوجه على أساس البنية والصياغة حين يعرض تشابه الصيغ بين الزيادة والنقص ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾، ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين ٢، ٣) فيرى أن "إنقاص الحروف وتقليلها في (كالوا) يشي بالسرقة وإنقاص الكيل في الوفاء لهم، وأن زيادة المبنى في صيغة الاكتيال وتعديها بحرف الاستعلاء مما يشي بالزيادة في استيفاء

---

(1) لمسات بيانية لسور القرآن، موقع ملتقى أهل التفسير على شبكة الإنترنت.

(2) دراسات في إعجاز القرآن ٢٧٦.

الكيل منهم قهرا واغتصابا، مما تتناغم فيه الألفاظ مع المعاني تناغما لا يحدث مثله في نظم غير نظم القرآن الكريم، فاختار معها صيغة الزيادة في حروف الفعل لتأتي في المقابل صيغة مجردة من الزيادة، ومن التعدية بالحرف الذي من شأنه أن يتعدى الفعل به... فأي إعجاز هذا؟ وأي نظم ذلك الذي يزيد الحرف أو يحذفه، فيشيع في جوانب النص كل هذه الدلالات والإيحاءات بما لا تنهض به الكلمات وتعجز عنه الجمل الطوال؟"[1].

ويصرح بالأساس الذي بنى عليه التوجيه عند بيان سر المغايرة بين صيغتي (ذكور، وذكران)، وهما جمعان دالان على الكثرة، قال: "وجدت مناسبة معنوية بنيتها على ما استقر لدى فقهاء اللغة من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فـ (الذكران) بما فيها من زيادة في الحروف لابد أن تتبعها زيادة في الوصف أو في العدد... و(الذكران) أدل على صفة الذكورة وتمكنها، وهو ما استدعاه المقام، حيث وقع الذكران عند الحديث عن التزويج بين الذكران والإناث، حتى يدفع الوهم بأن الحمل بذكور وإناث معا ربما يكون سببا في إضعاف صفة الذكورة"[2]. فهو يوجه بناء على أساس مستقر لدى فقهاء اللغة، وتلك القاعدة وإن لم تكن مطردة على إطلاقها، فهي على الأغلب والأكثر.

- ومما راعى فيه الأساس الصرفي والبلاغي، الإطناب في صيغة (عميان) من قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾(الفرقان:٧٣) ليتفق مع الإطناب في الثناء على عباد الرحمن المذكور في أربع عشرة آية متتالية في سورة الفرقان، فآثر (عُميان) على (عُمي) الذي عبر به في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾(الإسراء٩٧)، وقوله:﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾(البقرة١٨)، فلم يرد (عميان) إلا في آية الفرقان وحدها؛ لأنه لما بالغ القرآن في

---

(1) من أسرار حروف الجر ، ٩٥.

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة٣٣، دراسات في إعجاز القرآن ١٧٥.

وصف عباد الرحمن، وأكثر من إطرائهم، ناسبه التعريض بمقابلهم ممن اكتمل عماهم، واشتد ضلالهم، إذ لا يظهر كمالهم في الإيمان والطاعة إلا بذكر ما يقابلهم ممن أفرطوا في الكفر والعصيان[1].

فهنا يؤصل لضابط قوي، وهو أن مراعاة التناسب المعنوي مقدمة على مراعاة الانسجام اللفظي، وأن الصيغة التي فيها امتداد وزيادة في البنية تناسب في المعنى مقام الإطناب غالبا.

وتوجيهه هذا أقرب إلى القبول مما ذكره الدكتور/السامرائي حين جعل الجمعين: (ذكران)، و(عميان) يدلان على القلة النسبية، ناظرا إلى كون عباد الرحمن أقل من الكفرة المعبر عنهم بالجمع (عُمي) في كثير من آيات القرآن، وكذلك من اجتمع له هبة الذكران والإناث، فالذكور حينئذ أقل، بخلاف ما أفرد فيه الشخص بالذكور، فهم في العادة أكثر منهم عند من وهب ذكرانا وإناثا[2].

ومما هو مقرر عند الصرفيين أن وزن (فُعلان) يدل على الكثرة لا على القلة، وهو جمع مقيس فيما كان من الأسماء الجامدة والجارية مجراها على فَعْل: كظهْر وظُهران، أو على فعيل: كقضيب وقُضبان، أو على فَعَل صحيح العين كذكَر وذُكران[3]. ولست بصدد الموازنة بين توجيهات العالمين الجليلين، فهذا موضع بحث مستقل، وإنما ذكرت هنا إشارة كالقطا الهادي إلى منابع الماء.

ويوجه مشتبه النظم إفرادا وجمعا على أساس اتساق دلالة بنيته مع دلالة الأساليب البلاغية المصاحبة له: ففي سورة آل عمران:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ

---

(1) ينظر: الإعجاز البياني ١٨٧ .

(2) ينظر: معاني الأبنية في العربية: د/فاضل السامرائي ١٣٨، ١٣٩.

(3) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش ٩/ ٤٨٠٥.

عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١٣٣) اتسق جمع (السماوات) – بما فيه من الدلالة على الكثرة– مع دلالة التشبيه المحذوف الأداة على المبالغة، ذهابا إلى تعظيم الجنة ومزيد اتساعها للمتقين، كما اتسق إفراد (السماء) في سورة الحديد:﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾(٢١) – بما فيه من الدلالة على القلة– مع التشبيه المصرح فيه بالأداة، إيماء إلى أن أهل الجنة هنا (الذين آمنوا) دون الأولين عملا وثوابا، وذلك غاية في الإعجاز[١].

ويوجه إفراد الطفل وجمعه في سورة النور، فيوجه الإفراد﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾(النور ٣١) بالإشارة إلى "قلة خطر الأطفال الذين لا يعرفون ما العورة، ولا يميزون بينها وبين غيرها، فاستعير الإفراد بدلالته على القلة للتهوين والتقليل من شأن الأطفال في اطلاعهم على زينة النساء...وعدل القرآن إلى الجمع حين بلغ الأطفال مبلغ الرجال، وميزوا بين العورات، وبدأ خطر اختلاطهم، في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(النور ٥٩) لقد استحالوا ببلوغ الحلم رجالا... فكان الجمع تنبيها إلى خطر اختلاطهم، وعدم الاستهانة بهم في الاطلاع على العورات"[٢].

وإن كان للدكتور/فاضل السامرائي رأي آخر يتفق مع ما ذكره الشيخ/ الشعراوي – رحمه الله – حيث ذهبا إلى أن إفراد الطفل دال على الجنس، فموقفهم واحد، وغريزتهم واحدة بالنسبة إلى عورات النساء لا يعلمون عن العورات شيئا، فالعورات تعني نفس الشيء عندهم جميعا، فجعلهم كطفل واحد، أما الجمع فهو مناسب للسياق المبني على علاقات الأفراد، وليس الجنس؛ لأن الأطفال حين يبلغون ينظر كل واحد منهم إلى النساء نظرة مختلفة، فلم

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني ١٩٩، ٢٠٠ .

(٢) السابق ٥٩، ٦٠ .

يعد التعامل معهم كجنس واحد في الحكم[1]. فهذا التوجيه مستند إلى ما تفيده الدلالة اللغوية لهذه الصيغة أعني دلالة الإفراد على الجنس، والجمع على تنوع أفراده. وأرى أن قولهما أدق مما ذهب إليه د/الخضري من كون الإفراد هنا للتقليل والتهوين، ولكل وجهة، والله أعلم.

ويكشف عن إعجاز النظم الحكيم في وضع الصيغة موضعها الملائم في مشتبه النظم، حيث تُشيع بنية الكلمة في الموضع المصطفاة فيه ما لا يُشيعه غيرها، ومن نماذج ذلك: قوله تعالى:﴿ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾(الفرقان٤٩) في مقام امتنان الله على الإنسان بكثرة ما أفاضه عليه من الخير، فجاء بالجمع (أناسي) بما تحمله صيغته من الكثرة في المبنى والمعنى؛ ليتلاءم مع فيض الخير والرزق، وتلاءمت صيغة (أناس) بما نقص من مبناها، وقلل من كثرتها، مع التعبير عن الفرق والطوائف في قوله تعالى:﴿ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾(البقرة ٦٠)[2] .

– من أسس التوجيه عنده الاعتماد على الدلالة المعجمية لبيان دقائق الفروق اللغوية بين المفردات ليتضح سر المغايرة في المشتبه، وهذا من دلائل تمكنه اللغوي، وقد اعتمد على فروق الدلالة المعجمية بين تعدية الفعل (طمس) بنفسه في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾(القمر٣٧)، وتعديته بـ (على) في قوله:﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾(يس٦٦)، فهناك فرق بين طمس الشيء – وهو إزالة أثره– والطمس على الشيء – بمعنى حجبه وإخفائه – كما يوحي به حرف الاستعلاء، وقد دل السياق في سورة (يس) على أن الطمس على أعينهم هو إزالة ضوئها، وحجب الرؤية عنها، فآلة الإبصار موجودة، ولكن الله عطلها، فلا يستطيعون

---

(١) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د/فاضل السامرائي٩٢، وتفسير الشعراوي١٦/ ١٠٢٥٩.

(٢) ينظر: الإعجاز البياني ١٩٠، وينظر نماذج أخرى لوضع الصيغة موضعها الملائم في مشتبه النظم متكئا على الأساس الصرفي في التوجيه، الإعجاز البياني ١٩١، ١٩٤ .

الإبصار بها، أما آية القمر فهي تصور مشهدا من مشاهد التعذيب لقوم لوط، حيث مسخهم الله، وسوَّى أعينهم بوجوههم، فأزال ضوءها وصورتها معا ، نكالا لهم، وتمثيلا بهم[١].

فهو يوافق صاحب اللسان[٢] في التفرقة بينهما على النحو السابق، وكذلك ذهب السامرائي إلى التفرقة بينهما، وله كلام مبسوط في تعليل المغايرة بين هاتين الآيتين[٣]. ومن المهم الإشارة إلى أن هذا يندرج تحت فصل لطيف في العربية ملئ بالأسرار، وهو أخذ المعاني بعنان الفعل، توجهه وتحركه إلى المفعول مباشرة في موطن، أو بواسطة حرف ذي دلالة خاصة في موطن آخر وفق ما يتطلبه السياق.

– ويعتمد على ما جاء في علم المفردات القرآنية، فنقل عن الراغب قوله: "نَظَرْت إلى كذا: إذا مَدَدْتَ طَرْفَكَ إليه، ونَظَرْتُ فِيهِ: إذا رَأَيْتَهُ وتَدَبَّرْتَهُ، قال تعالى:﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾(الصافات ٨٨، ٨٩)، وقال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(الأعراف ١٨٥)، فذلك حَثٌّ على تَأَمُّلِ حِكْمَتِهِ في خَلْقِهَا"[٤]، ثم تتبع المواضع حصرا، وسبر النص تأملا، ونظر في صحة هذا الفرق الدقيق على نحو مطرد، فقال: وقد تتبعت ما جاء من النظر متعديا بـ (في)، فلم أجد سوى الآيتين اللتين ذكرهما الراغب، وجاء متعديا بـ (إلى) في خمسة عشر موضعا، وكلها تشهد على أن التعدي بـ (في)

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ١١٧، ١١٨.

(٢) لسان العرب، مادة (ط م س) ٦/ ١٢٦.

(٣) ينظر: على طريق التفسير البياني: د/ فاضل السامرائي ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن ٨١٢ .

يومئ إلى الاستغراق في المنظور، وشدة التأمل فيه، على حين نجد المراد بالنظر المشاهدة والرؤية بالعين فيما يتعدى بـ (إلى)[١].

ثانيا- يتكئ على أسس مستمدة من علوم القرآن: ومنها سبب النزول، فيتخذ منه قرينة قوية للكشف عن أسرار المغايرة في المتشابه، ويعده من أسس التوجيه؛ لأن معرفة سبب النزول يكشف سر المغايرة بين المتشابهات، فما نزل في المؤمنين يغاير ما نزل في المنافقين أو الكافرين نظما وتركيبا وسياقا... وما نزل في شأن النساء غير ما نزل في شأن الرجال، وأسباب النزول كما يقول الواحدي:"أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا"[٢].

فقد استعان بسبب النزول في استجلاء سر المغايرة بين حرفي الجر: فجاءت اللام في قولـــــه:﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(العنكبوت: ٨)، لتعبر عن رغبة الوالدين في تمسك أبنائهما بدين آبائهم، وحثهم على ذلك، ولكن لا تصل إلى حد المغالبة والقسر والحمل على الإشراك كما هو في آية لقمان التي نزلت بسبب إضراب أم سعد بن أبي وقاص عن الطعام؛ لحمل ابنها قسرا على العودة إلى دين آبائه، ومثل هذا يتناغم مع حرف الاستعلاء ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(لقمان١٥)، الدال على الصبر على مغالبة الأبوين وقسوتهما في حمل الابن على الإشراك[٣].

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ١٤١.

(٢) أسباب النزول: الواحدي ١٠.

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر٢٤٥، ٢٤٦، تفسير ابن كثير٦/ ٣٣٧ .

وما قاله توجيه حسن، وربما يعكر عليه قول بعض المفسرين[1] بأن آية العنكبوت هي التي نزلت في سعد بن أبي وقاص، ويؤيده رواية الترمذي[2]، فيحسن التوجيه حينئذ بمراعاة نوع المخاطب ودرجة إيمانه، ولهذا قال ابن عاشور: "هُنَا (عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي)، وفِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ(لِتُشْرِكَ بِي)، فَأَمَّا حَرْفُ (عَلى) فَهُوَ أَدَلُّ عَلَى تَمَكُّنِ الْمُجَاهَدَةِ، أَيْ مُجَاهَدَةٌ قَوِيَّةٌ لِلْإِشْرَاكِ، وَالْمُجَاهَدَةُ: شِدَّةُ السَّعْيِ وَالْإِلْحَاحِ. وَالْمَعْنَى: إِنْ أَلَحَّا وَبَالَغَا فِي دَعْوَتِكَ إِلَى الْإِشْرَاكِ بِي، فَلَا تُطِعْهُمَا. وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِلنَّهْيِ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِمَا إِذَا دَعَوْا إِلَى الْإِشْرَاكِ، وَأَمَّا آيَةُ الْعَنْكَبُوتِ فَجِيءَ فِيهَا بِلَامِ الْعِلَّةِ لِظُهُورِ أَنَّ سَعْدًا كَانَ غَنِيًّا عَنْ تَأْكِيدِ النَّهْيِ عَنْ طَاعَةِ أُمِّهِ لِقُوَّةِ إِيمَانِهِ"[3].

ويستعين بسبب النزول ومناسبته في كشف دقائق أسرار البيان بين موضعين متقاربين اجتمعت فيهما الصفات، وجاءت معطوفة في أحدهما، وترك العطف في الآخر، وذلك في آيتين: الأولى﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(الأحزاب:٣٥)، والأخرى:﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ١٢، تفسير ابن كثير٦/ ٢٦٥، التحرير والتنوير ٢٠/ ٢١٣.

(٢) روى الترمذي عن سَعْد قال: «أُنْزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ» - فَذَكَرَ قِصَّةً - فَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالبِرِّ، وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ، قَالَ: «فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا» فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}[العنكبوت: ٨] الآيَةَ. سنن الترمذي، ٥/ ٣٤١ برقم (٣١٨٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ١٦٠.

عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا﴾ (التحريم:٥)، فالآية الأولى في مدح الكمال الشامل لجميع النواحي الخلقية والسلوكية، وفيها وفاء بحق المناسبة، فقد روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت: "ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء" فنزلت هذه الآية[١]، فالمطلوب هنا إجمال كل ما يتساوى فيه الرجال والنساء مما يجمع خير الدنيا والآخرة، تحقيقا للمساواة في التكاليف والثواب عليها، وهو ما حاولت الآية حشده من جميع الصفات التي تكمل الإنسان في دينه وخلقه، أما الآية الأخرى، فهي في موطن يتطلب الكمال في صفة واحدة هي صفة الطاعة، ومناسبة الآية تقتضي ذلك بعد أن حدث من بعض زوجات الرسول ما يوهم الخروج عن الطاعة، كما يتضح من قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(التحريم:٣)، فالآية موضع الحديث جاءت لتؤكد أن أهم ما يجب أن تتميز به أزواج النبي الطاعة التامة، فإذا حاولن – كما حدث – الخروج على هذه الطاعة، فإن الله قادر على أن يستبدل بهن أزواجا بلغن الغاية في كمال هذه الصفة (الطاعة)، ومن ثم كان مجموع الصفات المذكورة في الآية دون عطف لا يخرج عن صفة الطاعة الكاملة، ودخول العاطف بينها يذهب الغراض المراد[٢].

– ويعتمد على ما جاء في كتب علوم القرآن، وكتاب الزركشي نجم ساطع في هذا، وقد أثنى على دقة الفروق عنده بقوله:" اقرأ رائع القول ودقيقه فرقًا بين (في) و(على) خلال هذين الموضعين فيما قاله الزركشي: قَالَ:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا }

(١) سنن الترمذي، وحسَّنه، ٥/ ٣٥٤ برقم (٣٢١١)، ينظر: لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي ١٥٨.

(٢) ينظر : الواو ومواقعها ٩٨، ٩٩ .

وقال:{ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا}، وَمَا قَالَ: (عَلَى الْأَرْضِ)؛ وَذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ الْعِبَادَ، بَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هُمْ عَلَيْهَا مُسْتَوْقِرُونَ، وَلَمَّا أَرْشَدَهُ ونهاه عن فعل التبختر قال لا تَمْشِ فِيهَا مَرَحًا، بَلِ امْشِ عَلَيْهَا هَوْنًا"[1]. وقول الزركشي هذا ذكره وهو بصدد مَعَانِي الْحُرُوفِ واخْتِلَافِ مَدْلُولِهَا، وتَرَجيح بعضها عَلَى بَعْضٍ فِي الآيات بِحَسَبِ مُقْتَضَى الْحَالِ.

وكذلك اعتمد على ما جاء في بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي حيث وجه تقديم العذاب على الرحمة بمراعاة مقام الوعيد للكافرين[2]، كما أكثر من الاعتماد على أقوال ابن القيم في بدائع الفوائد، واستحسن توجيهه مشتبه النظم بين التقديم والتأخير، والإفراد والجمع[3].

– ما سبق ذكره أسس معنوية، أما الأسس اللفظية التي اعتمد عليها د/الخضري فالانسجام ومراعاة الفواصل؛ لأن هذا من سمات النظم القرآني في تآخي مفرداته وجمله، واستدعاء مطالعه لمقاطعه، لتتحقق الملاءمة، ويظهر التناسق والتوازن، ومثال التشاكل اللفظي بين الذكر والحذف: مجيء (مِن) في آية يونس﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٦١) وحذفها من آية سبأ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي

---

(1) ينظر: من أسرار حروف الجر ، ١٢٨، البرهان في علوم القرآن ٤/ ١٧٦.

(٢) ينظر: دراسات في إعجاز القرآن ٩٤، بصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي١/ ٣٦١.

(3) ينظر: الواو ومواقعها ١٦٨، نقلا عن بدائع الفوائد ١/ ٧٦، ٧٧ ، وينظر شاهد آخر: من أسرار حروف الجر ١٧٩، نقلا عن بدائع الفوائد ٢/ ٥، ٦، الإعجاز البياني ٢١٠، ٢١١، نقلا عن بدائع الفوائد١/ ١١٨، ١١٩.

ٱلۡأَرۡضِ﴾(٣)، وهذا دليل على الانسجام والتناسب الذي يمتاز به أسلوب القرآن، ويظهر أثر التناسق بين الجمل الثلاث: ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ﴾ ، ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا﴾ ،﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾، فإذا حاولت أن تسقط حرف الجر من الجملة الأخيرة كما سقط من آية سبأ، ستجد أثر ذلك عثرة في الأذن من جراء فقدان التوازن، وفقدان التناسب فيما تؤديه من تأكيد العموم في إحاطة علمه بشئون خلقه(١).

ونقل عن الإسكافي سر تخصيص آية سورة إبراهيم بالواو﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾(٦) دون آية سورة البقرة﴿ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾(٤٩)، ويعقب بأن الخطيب يراعي التحسين اللفظي حيث يراعي في الأسلوب تناسق الآيات والفقرات مع ما قبلها وما بعدها، وهو لا شك من مقومات بلاغة القرآن، وأسرار جمال هذه اللغة، ورأي الإسكافي لا غبار عليه(٢).

ولم يكن هذا رأيه في هذين الموضعين السابقين فحسب، بل يذهب في مواضع أخرى إلى القول بمراعاة التحسين اللفظي في توجيه المتشابه موافقة لأئمة هذا العلم، بل يشير د/الخضري إلى قبول ما قاله الإسكافي والفيروزآبادي في مراعاة التحسين اللفظي من تلاؤم الجمل وتناسقها، فتدخل الواو أو تترك مراعاة لنظائرها من الجمل المسوقة معها(٣) .

غير أني وجدته يقرر أن مشتبه النظم من جهة التقديم والتأخير يراعى فيه تناسق الفواصل أو تلاؤم القرائن طولا وقصرا، على أن يصحب ذلك نكتة تتعلق بالسياق أو يستدعيها المقام، ولا يرى الاكتفاء بمراعاة الفواصل وحدها دون أن يُضم إليها سر معنوي، فإن من

---

(١) ينظر: دراسات في إعجاز القرآن ٨١ ، وينظر شاهد آخر لمراعاة التناسب والتآخي: ٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: الواو ومواقعها ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) ينظر: السابق ٣٨٧، درة التنزيل ٣٩ ، بصائر ذوي التمييز:الفيروزآبادي ١/ ١٧٣، ١٧٤ .

إعجاز القرآن الجمع بين تآخي ألفاظه ومعانيه، وتناسق مقاطعه وتناغم قرائنه وفواصله، فيجمع بين الجمال في شكله ومضمونه معا، وهذا رأيه في عدة مواضع(١).

وقدم الدليل على سقوط القول بمراعاة الفاصلة في عدد من المواضع التي وجهت بالفاصلة فحسب، واعتمد في مناقشة كلام القائلين بها على تتبع النظائر، وعدم اطراد ما ذكروه، ومن ثَم بحث عن أسرار معنوية فوق ما ذكروا من توجيه لفظي(٢).

ونصه صريح في عدم الاكتفاء بها حيث قال: "والقول بالتقديم لرعاية الفاصلة يتجاهل الفروق بين أغراض النظم، واختلافات السياق، فلو أن الغرض هو مراعاة الفواصل وحدها، لقيل في سورة النجم: (أم لم ينبأ بما في صحف إبراهيم وموسى) وفاء بحق الفواصل، وهي متحدة في السورتين:(النجم، والأعلى)، دون اللجوء إلى تغيير النسق بالتقديم والتأخير"(٣).

وهاك نصا آخر أكثر وضوحا حين يعرض لتوجيه مغايرة الوصف المقيِّد للمشبه به بين آيتين من مشتبه النظم:﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ (القمر:٢٠)، ﴿ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ خَاوِيَةٖ ﴾(الحاقة:٧)، فيشير إلى قول الآلوسي: "واعتبار كلٍ في كلٍ من الموضعين للفاصلة"(٤)، ثم يصرح بأن هذا الاقتصار على مراعاة الفواصل لا يكفي، فيقول:"ولست أمانع في أن يراعي القرآن الإيقاع الصوتي، واتساق النغم في الفواصل، ولا حرج أن يسعى القرآن ليهز الأسماع وأوتار القلوب بالتنغيم والتطريب...إلا أن هذا وحده لا

---

(١) ينظر: دراسات في إعجاز القرآن ١٠١، ١٦٨ ، ١٧٤.

(٢) ينظر عدة نماذج وشواهد في توجيه مشتبه النظم ساقها احتجاجا على القائلين بمراعاة الفاصلة فحسب، وناقش أقوالهم، وعزا سر المغايرة إلى فوائد معنوية، ينظر: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ص ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٥٢، ٥٧.

(٣) السابق ٢٥ .

(٤) تفسير الآلوسي ١٤/ ٨٦.

يكفي سببا للمغايرة بين وصفين يتسع بأحدهما مجال الصورة، ويتنامى مدلولها دون أن يقال: لم جاء الوصف بهذا الإغراق والامتداد، ولم يجئ هناك؟ "[١].

فهو لا يهون من شأن التناسب اللفظي والانسجام، بل يرى أن المناسبة اللفظية تظهر جمال التوافق في المقاطع بما له من أثر في استمالة الأسماع والقلوب، فهي مراعاة ومعتبرة، لكن " تغيير نظم الآي من أجلها إنما هو ضرب من الضرورات نجلُّ القرآن عن مثله" على حد قوله[٢].

ويذكر أستاذنا الدكتور/محمود مخلوف أن أئمة البيان قديما وحديثا يرون توجيه مشتبه النظم القرآني بمراعاة الفواصل والتشاكل اللفظي كافيا، وتطمئن النفس إليه في التوجيه[٣].

ومما هو مقرر أن التوجيه المعنوي مع التوجيه اللفظي يظهر الجمال في الوجهين، ويجمع بين الحسنيين، وقد ختم الدكتور الخضري كتابه (من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة) بهذه الكلمات المضيئة: " إن إعجاز القرآن يتجلى في هذه المواءمة الدقيقة بين جمال الشكل والمضمون؛ ليتحقق بها التناسب بين الفواصل في نفس الوقت الذي يتحقق فيه التناسب بين المعاني، فإذا نظرت إلى جمال الموسيقى النابع من التوازن بين المقاطع وتوافقها في الروي، خِلت أن القرآن عمد إليه وتوخاه، وإذا تأملت المعاني والأغراض، وجدت أنه أحكم نسق الألفاظ وفقا لثوابت المعاني وحركتها في الأذهان، فمن أي جانب نظرت وقعت على سر من أسرار الإعجاز"[٤].

---

(١) من بيان القرآن: د/الخضري ٢٢ .

(٢) ينظر: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ٦ .

(٣) ينظر: ضوابط التوجيه اللفظي لمتشابه النظم القرآني: أ.د/محمود حسن مخلوف، ص٥٠٩، ص٦٢٢.

(٤) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ٨٠ .

وإذا كانت الدراسات التي تصدت للفواصل كشفت عن الإيقاع الحسي، فإن د/الخضري يركز على الجمال المعنوي، فيقرر أن " القرآن في إيقاعه وكسره للإيقاع لا يعتمد على التأثير الصوتي وحده في الاستجابة للتوقع أو المفاجئة التي تحدث الصدمة السارة، بل يسخرها لإحداث متعة عقلية يتجاوب فيها الجمال اللفظي مع الجمال المعنوي"[1].

فهل يَنسب د/الخضري تقصيرا إلى الذين وقفوا عند التعليل بمراعاة الفاصلة، وانتهوا إلى التوجيه بالظاهر، دون أن يطلبوا الخبيء الدفين وما حجب من أسرار معنوية تتبرج لمن لا يغله مهر الحسان؟

يمكن القول بأنه يرى التوجيه اللفظي- كمراعاة الفواصل أو التشاكل اللفظي والانسجام- إذا اقتصر عليه وحده بلا توجيه معنوي، كفى وأجزأ القانع بأدنى ما يجزئ ويكفي في التوجيه، وهذا نهج كثير من المفسرين والبيانيين، إلا أن الطامع في كشف الأسرار التي تتعلق بالمعاني ليحاول جاهدا أن يدرك شيئا منها؛ ليجمع بين التوجيه اللفظي وما وراءه من غايات وأسرار معنوية، فإن لم يعثر على ذلك، ولم يظفر بسر معنوي، اكتفى بالتوجيه اللفظي حينئذ، وكأنه إليه المنتهى فيما يطلب، فيحسن السكوت بعده.

وقد وقفت على نصوص من كلامه تدل على إقراره بأن التوجيه بمراعاة الفاصلة يكفي، إذا حجبت عن الباحث الأسرار المعنوية، فلم يعثر- بعد طول تأمل وتوقف- على شيئ معنوي تطمئن إليه النفس توجيها وتعليلا، وهذه بعض نصوصه إضافة إلى ما سبق ذكره:

الأول- يقول رحمه الله: "ومن خفي ضروب التقديم في الفواصل ما نراه في مشتبه النظم من تقديم لفظ على آخر في موطن، وعكس الترتيب في موطن آخر، مما يبدو لأول وهلة أن ليس لهذه المغايرة غرض سوى توافق الفواصل، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا

([1]) دراسات في إعجاز القرآن ٢٨١.

وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾(آل عمران٤١)، فقدم العشي، وعكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(مريم١٠، ١١) وقد حاولت أن أجد فيما قرأت من يستفتح عليَّ في بيان سر التقديم والتأخير في الموضعين، فلم أجد، واحتجب عني هذا السر حتى كدت أسلم بأنه ليس وراء ذلك من غرض سوى تحقيق التناسب في الفواصل، لكن الله هداني – بعد طول توقف – إلى أن هذه المغايرة استدعاها تغيير الخطاب..."[١].

الثاني – عند بيان سر المغايرة بين صيغتي (ذكور، وذكران)، وهما جمعان دالان على الكثرة، قال: "ولم أجد لأحد ما يستفتح به عليَّ حتى كدت أن أقتنع بأنه ليس هناك غرض لهذه المغايرة سوى مراعاة التناسب بين الفواصل... لكني وجدت مع ذلك مناسبة معنوية بنيتها على ما استقر لدى فقهاء اللغة من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"[٢].

الثالث – بعد أن قرر تقدم (الغفور) على (الرحيم) في فواصل القرآن كله إلا موضعا خولف فيه هذا الترتيب فقدم (الرحيم) في قوله:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ (سبأ ٢)، يقول: " وفي البحث عن سر هذه المخالفة أسرع المفسرون إلى الفاصلة يعللون بها هذه المغايرة حين عز عليهم وجود سبب غيرها، أو وجدوا سببا غير مقنع، يقول الشهاب: "قدم الرحمة لأنها منشأ المغفرة، أو للفاصلة"[٣]. وكأن الشهاب أحس بضعف تعليله من المعنى فلجأ إلى الفاصلة"[٤]

---

(١) الإعجاز البياني ١٨٥، ١٨٦.

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة٣٣، دراسات في إعجاز القرآن ١٧٥.

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي ٧/ ١٨٨ .

(٤) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ٤٩ .

الرابع – عند تعليل الإسكافي الحذف بمراعاة الفواصل في قوله تعالى:﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾(طه٧٠) "فلم يذكر (رب العالمين) كما جاء في سورة الأعراف والشعراء؛ لأنه ما كان الكلام يتم به آية كما تم في السورتين، فيكون مقطع الآية فاصلة مخالفة للفواصل التي بنيت عليها سورة طه"(١) يعقب د/الخضري قائلا: إن القول بحذف (رب العالمين) من سورة طه لمجرد التشاكل إهمال لما بنيت عليه السورة من الإيجاز في تصوير هذا الحدث، كما يدل عليه ترتب سجود السحرة وإيمانهم على أمر الله لموسى بالإلقاء دون ذكر إلقاء موسى عصاه، وهو ما تفردت به سورة طه "(٢).

فتجد للحذف هنا حسنا في الفاصلة كما أن له حسنا يتفق والإيجاز الذي بنيت عليه القصة في سورة طه، وعبارة عبد القاهر "فما مِن اسْمٍ أو فعلٍ تَجدُه قد حُذِفَ، ثم أُصيبَ به موضعُه، وحُذِفَ في الحال يَنْبغي أن يُحذَفَ فيها إلاَّ وأنت تَجدُ حذْفَه هناك أَحْسَنَ من ذكرِهِ، وترى إضمارَهُ في النفس أَوْلى وآنسَ مِنَ النُّطْقِ به"(٣).

(١) درة التنزيل ٩٧.

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ١٦، دراسات في إعجاز القرآن ١٥٩.

(٣) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ١٥٢.

المبحث الثالث

ضـوابـط وقواعـد فـي توجيـه مشتبـه النظـم عنـد د/ الخضـري.

القارئ لمؤلفاته يضع يده على ضوابط هي منارات لديه في تحليل مشتبه النظم، منها ضوابط كانت عند سابقيه فأقرها وأفاد منها في التطبيق، وضوابط نقدها وخالفها مستشهدا ومدللا، وضوابط أضافها بعد طول اجتهاده ونظره، وتطبيق تلك النظرات والضوابط أمر جلي في كتبه، فلم يقصر نظره على تلك النظرات الجزئية للآيات المتشابهات فحسب، بل اعتمد على هذا النظام الكلي الذي بنيت عليه السورة أو سور القرآن في جملتها ووحدتها، وسماتها، ونظمها وسياقاتها... ليراعي تلك الضوابط في توجيه المغايرة بين المشتبه، وأذكر من هذه الضوابط :

١- توجيه المشتبه في ضوء تغاير المقصد:

له نظرات جيدة حين يوجه مشتبه النظم وفق المقصود الأهم، والغرض المؤم في آي المشتبه: وشاهد ذلك في توجيه التقديم، تقديم السيدة مريم على ابنها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء٩١)، وفي غيره من المواضع قدم المسيح على أمه؛ لأنه صاحب الرسالة والغرض إليه، أما هذا الانفراد، فلأن الغرض إلى الأم والحديث عنها، إذ الآية في سياق من أجاب الله دعاءهم جزاء إيمانهم وحسن عملهم، وكانت مريم ممن أخلص لله العبادة فأكرمها بحسن الجزاء، وأخرج من صلبها من كان آية للعالمين، فالمسيح ثمرة إحسان الأم؛ ولذا قدمت عليه في هذه الآية[١].

---

(١) ينظر: الواو ومواقعها ١٧١ .

ومن شواهده حين عرض سر المغايرة بين صيغ الجمع (جمع القلة وجمع الكثرة) يعلل بأن مقصد السورة يصطفي إحدى الصيغتين، فتكون مناسبة في دلالتها مع هذا المقصد، فجمع الكثرة (خطاياكم) في قوله تعالى:﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾(البقرة:٥٨) ليناسب ما بنيت عليه آيات سورة البقرة من تعداد النعم والآلاء، فطابق الوارد فى البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم، وأما الجمع بالألف والتاء (خطيئاتكم) في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ﴾(الأعراف١٦١) فبابه القلة، كما يقول الغرناطي: "فناسب ما ورد فى الأعراف من حيث لم تُبنَ آيُها من قصد تعدد النعم على ما بنيت عليه آىُ البقرة، فجاء كل على ما يناسب"[1].

وفي مقام استقصار الدنيا وسرعة زوالها أوثرت الفاء التي تطوي الزمن بسرعة في موضع سورة يونس﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾(٢٤)، وبإيقاع أسرع منه في سورة الكهف﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾(٤٥) وجاء حرف التراخي في ثالث المواضع﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا﴾(الحديد٢٠) يرمز إلى طول زمن إعجاب الكفار بنباتهم، واستغراقهم في ملذات الدنيا، وطول الأمل عندهم، وفي الأول والثاني تصوير لحقيقة الدنيا كما يصورها خالقها،

([1]) ينظر: الإعجاز البياني ١٤٣، ملاك التأويل ١/ ٣٨ .

وفي الثالث تصوير لها من خلال أعين الغارقين فيها المستمتعين بلهوها ولعبها، وكان حرفا التعقيب والتراخي أداتي ضبط المسافات في عدسة التصوير، تقرب وتبعد، وتكبر وتصغر طبقا لما يراه المصور(١).

٢- التوجيه القائم على مراعاة اختلاف المخاطَب:

يتغاير النظم بين المتشابهات تبعا لتغاير المقصودين بالخطاب وتفاوت درجاتهم، ومعلوم أن ليس سواءً خطابُ العامة وخطاب الخاصة الذين تترقى مراتبهم ودرجاتهم، وهذا أمر مقرر في البلاغة العربية، كما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"(٢). وجاء في البيان والتبيين: "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة(٣). والكاتب الحاذق – كما ذكر أسامة بن منقذ – " لا يكلم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة"(٤)، وهذا وإن كان أمرا ظاهرا في كلام البلاغيين إلا أن استثماره هنا في توجيه مشتبه النظم من جيد الاسترفاد، وهو ضابط جيد في توجيه ما تغاير من مشتبه النظم تبعا لاختلاف المخاطبين ومقاماتهم ومنازلهم.

وقد وجه في ضوء هذا الضابط عدة نظوم من المتشابه، منها: التقديم والتأخير، والإفراد والجمع، وتغاير حروف الجر، وحروف العطف، وجمع القلة والكثرة، والذكر والطي...وهذه بعض النماذج والشواهد التي توضح وتبسط ما ذكر:

---

(١) ينظر: من أسرار حروف العطف ٢٦٨ – ٢٧١.

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ ١/ ١٣١.

(٣) السابق ١/ ٩٥.

(٤) البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ ٢٩٨.

مما روعي في توجيهه اختلاف المخاطَب، توجيه المغايرة بين قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾(آل عمران٤١) بتقديم العشي، وقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾(مريم١٠، ١١) بتأخير العشي، "وهذه المغايرة استدعاها تغيير الخطاب، وذلك أن المخاطب المأمور بالتسبيح في سورة آل عمران هو زكريا – عليه السلام – والمخاطب المأمور بالتسبيح في سورة مريم هو من أُرسِل إليهم زكريا – عليه السلام– وبين الخطابين والمقامين يقع الإعجاز في ترتيب النظم، فزكريا قُدِّم معه العشي، وتسبيحه فيه يستتبع قيام الليل والانقطاع إلى الله في هذا الوقت الذي يصعب على غير المقربين مواصلة العبادة فيه... أما غير الأنبياء والمقربين، فإن جُلّ تسبيحهم وصلاتهم بالنهار على قدر ما يطيقه عامة المؤمنين؛ لذا قدم ما هو الغالب على عادة الناس في خطاب زكريا لقومه"(١).

ومن هذا القبيل توجيه مجيء (دارهم) مفردة في سورة الأعراف في كلٍ من القصتين: قصة ثمود، وقصة قوم شعيب﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ (الأعراف٧٨، ٩١)، ومجيئها بالجمع في سورة هود في القصتين﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾(هود ٦٧، ٩٤)، فيجعل مرده إلى تغاير المخاطبين، إذ كان خطاب النبيين في سورة الأعراف خاصا، موجَّها إلى الملأ المستكبرين من قومهما، فجاء توحيد الدار متناسبا

(١) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ٣٣، دراسات في إعجاز القرآن ١٧٥.

مع هذا الخطاب الخاص...أما في سورة هود، فقد كان الخطاب عاما، والحوار بين النبيَّينِ وأقوامهما، وليس بينهما وبين الملأ من قومهما[1].

ويعلل لمجيء حرف الاختصاص في آية سورة الجمعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾(٩) وحرف الانتهاء في آية سورة المائدة ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾(٥٨) بأن فعل النداء حين يعدى بـ (إلى) يكون الغرض حث المنادى على القصد إلى الشيء والانتهاء إليه، وحين يعدى بـ (اللام) يكون الغرض تخصيص النداء بالشيء المطلوب؛ إظهارا للاهتمام به، ووفور الرغبة في تحقيقه، وهذا الفرق الدقيق من أجله جاءت (إلى) في نداءٍ عامٍّ لكل سامع وإلى عموم الصلوات، وحين كان النداء للمؤمنين ولصلاةٍ خاصةٍ في يوم خاصٍ، وهي صلاة الجمعة، ولها في الشريعة مكانة خاصة، جاءت (اللام) تعبيرا عن اختصاصها بالنداء[2].

وفي أطوار خلق الإنسان في سورة المؤمنون ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾(١٢-١٤) حين يوجه الشهاب الخفاجي التعقيب بين العلقة والمضغة، وبين المضغة والعظام بما يوحي أنه ليس بينهما من التفاوت والبعد كما بين النطفة والعلقة[3]، يرى د/الخضري قول الشهاب غير مطرد؛ لأنه يعكر عليه ما جاء في

---

(1) ينظر: الإعجاز البياني ٢١٦- ٢١٩.

(2) ينظر: من أسرار حروف الجر ، ٢٣٤، ٢٣٥.

(3) ينظر: حاشية الشهاب ٦/ ٣٢٢.

سورة الحج ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾(٥)، ويجد لصاحب المنار كلاما أكثر دقة في الكشف عن سر اختلاف العاطف، بجعل العلقة والمضغة والعظام طورا واحدا؛ ولذا دخلت الفاء بين مراحله لاتصالها[١]، وبعد هذا يذكر رأيه القائم على مراعاة اختلاف المخاطب: ففي الموضع الأول الخطاب للمؤمنين الذين استهلت بهم السورة، وتتابعت أوصافهم، فالمقام مقام إعلام، والمخاطب هنا باحث عن المعرفة مستقبل لها استقبال الموقن بصدق الخبر، أما آية سورة الحج فالمخاطب فيها منكر للبعث، فاستدعى مقام الإنكار تعديد الأطوار، وإبراز مراحل الطور الواحد في صورة أطوار متعددة باعَد بينها حرفُ التراخي؛ ليخجل المعاند، ويرعوي عن مكابرته[٢]. فجعل مرد التغاير في النظم إلى اختلاف المخاطب: منكر وغيره .

ويلحق بهذا الضابط توجيه المشتبه بالنظر إلى تغاير أحوال المتحدَث عنهم، فيختلف النظم تبعا لتغاير أحوالهم، وبهذا يعلل المغايرة بين حرف الظرفية وحرف الاستعلاء، فيأتي حرف الظرفية في قوله تعالى:﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾(الإسراء٣٧) حيث المخاطب مغرور منتفخ الأوداج، يضرب الأرض بقدميه اختيالا، فعدى المشي إليها بـ(في)، إشعارا بشدة ضربه في الأرض، ومبالغته في وطئها، شأن من يظن أنه قادر على خرقها، ثم قارن بين هذه الآية وقوله تعالى:﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان٦٣)، وكيف دل حرف الاستعلاء على تواضع المؤمنين، وإقلاعهم عن الدنيا، وكيف يمشون برفق حتى لا تكاد تلمس أقدامهم الأرض[٣].

---

(١) ينظر: تفسير المنار ٣/ ٢٦٣ .

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف ٢٧٤-٢٧٧ .

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر ، ١٢٨.

وإذا تغايرت رتبة العامل ترقيا أوتدليا، تغاير الجزاء تبعا لذلك، ويجلي هذا وجه المغايرة في مشتبه النظم بين جمع القلة وجمع الكثرة: فآية سورة الزمر﴿ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾(٢٠) اقتضت المبالغة بالكثرة؛ لأن المجازين بالغرف هم المتقون، وهم خاصة المؤمنين، فهم أرفع درجة عند ربهم، بدليل أن القرآن لم يكتف بقوله: (لَهُمۡ غُرَفٞ) بل بالغ في ذلك بقوله:(مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ)، مما يدل على زيادة فضلهم، وأما آية سورة العنكبوت﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾(٥٨) فإن الخبر فيها وإن وقع عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلا أن الله قدم لهم بنداء التكريم ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(٥٦) ثم امتدحهم بقوله:(نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ)، وزاد في وصفهم﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٥٩) فدل على أنهم نوع متميز في العمل من بين عموم المؤمنين، وهو يقتضي الزيادة في تكريمهم، فجاء جمع الكثرة (غرف) محققا لهذا الغرض بخلاف آية سورة سبأ حيث اكتفى بوصفهم بالإيمان والعمل الصالح دون زيادة﴿ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾(٣٧) فجاء جمع القلة مناسبا لدرجتهم في الجنة وفقا لمنزلتهم في العمل[1].

وفي مقابل هذا الشاهد السابق يأتي توجيه المغايرة بين آيتين في أحوال المنافقين في ضوء درجة عملهم قبحا وسوءا، فكلما اشتد قبح عملهم، وازداد كيدهم ومكرهم، كانت هذه الأحوالِ مدعاة للمغايرة في النظم على نحو يناسب حالهم، ومن هنا وجه المغايرة ذكرا وطيا بين آية سورة البقرة﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا

(1) ينظر: الإعجاز البياني ١٤٦، ١٤٧.

يَشْعُرُونَ﴾(٩)، وآية سورة النساء﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾(١٤٠) يقول: "الله تعالى أشرك نفسه مع المؤمنين في آية سورة البقرة؛ إظهارا لقوة اختصاصه بالمؤمنين، وإشعارا بأن خداع المنافقين لا يجدي نفعا، ولن يخفى أمره على المؤمنين؛ لأن الله معهم بعلمه... أما في سورة النساء، فإن صنيع المنافقين هناك أشد، وصورة خداعهم تجاوزت حماية أنفسهم إلى الإضرار بالمؤمنين، فقد كان الخداع في سورة البقرة حماية لأنفسهم من عقاب المسلمين، حيث كانوا يدعون الإيمان تقية؛ حتى لا يتعرضوا لوطأة أحكام المسلمين عليهم، أما في سورة النساء، فقد ارتقوا من محاولة حماية أنفسهم إلى إيقاع الأذى بالمؤمنين، وهو ما وصفه الله بالتربص﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:١٤١)، ومناصرة الكافرين على المسلمين بغية الحصول على نفع مادي؛ لذلك جعل الله صنيع المنافقين متوجها إلى ذاته، والحقيقة أنهم لا يخادعون إلا المؤمنين، ولكن الله أخفى صورة المؤمنين هنا بعد أن كان الله وراءهم هناك بحمايته ونصره؛ لأن الأمر لم يتجاوز حد تجنب بطش المؤمنين بهم، فلما امتدت أفعالهم بالأذى للمؤمنين هنا، ظهر الله وحده في مواجهتهم بقوته وجبروته؛ مبالغة في توليه أمر المؤمنين، ورد كيد العادين عليهم"[(١)].

كما يراعي البعد الزمني المؤدي إلى تغاير المتحدث عنهم والأحوال المحيطة بهم، فيجعله أساسا كاشفا عن سر المغايرة في مشتبه النظم بين جمع القلة وجمع الكثرة (النبيين، الأنبياء): فآية سورة البقرة في سياق الإخبار عن بني إسرائيل المعاصرين لموسى عليه السلام﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ

(١) الواو ومواقعها ٧١ .

وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾(البقـرة: ٦١) بخـلاف المتحدث عنهم في موضع سورة آل عمران فهم الذين طال بهم العهد إلى زمن النبي – صلى الله عليه وسلم–﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾(١١١، ١١٢) فكان بُعد ما بين عصري موسى ومحمد – عليهما السلام– مستلزما كثرة ما وقع من قتل الأنبياء بعد موسى؛ لذا عبر بجمع القلة في خطاب المعاصرين لموسى، حيث لم يكن قد استحرَّ القتل بالأنبياء كما استحرَّ من بعده وحتى عصر محمد – صلى الله عليه وسلم– فاقتضى حينئذ التعبير بجمع الكثرة[1].

ويحسن أن أذكر هنا أن د/الخضري بعد تقريره هذه المغايرة وما ذكره في توجيهها يتلطف مع اللغوي المفسر الذي سوى بين الجمعين (النبيين، الأنبياء) قائلا: "فهل يمكننا بعد ذلك أن نوافق أبا حيان في قوله:"وَلَا فَرْقَ فِي الدَّلَالَةِ بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَالْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّ الْجَمْعَيْنِ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا (الْ) تَسَاوِيَا، بِخِلَافِ حَالِهِمَا إِذَا كَانَا نَكِرَتَيْنِ،لِأَنَّ جَمْعَ السَّلَامَةِ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرٌ فِي الْقِلَّةِ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ عَلَى أَفْعِلَاءِ ظَاهِرٌ فِي الْكَثْرَةِ"[2]. فيثير سؤالا، ويسكت عن جوابه، اعتمادا على وعي القارئ، فيدع القارئ المجتهد ليحكم، ويوازن، ثم يجيب – إذا قنع – بما لقنه إياه سابقا، وهذا من تواضع أهل العلم عند الاجتهاد والنظر في كلام أئمة التفسير واللغة!

([1]) ينظر: الإعجاز البياني ١٤٣.

([2])الإعجاز البياني ١٤٥، وينظر: البحر المحيط ١/ ٣٨٢.

٣- التوجيه القائم على مراعاة اختلاف حال المتكلم:

وجه تغاير المفردات في مشتبه النظم معتمدا على تغاير أحوال المتكلم، فيذكر فروق الدلالة بين (نادى)، (دعا)، فالأول في الخافت الذي يشبه حديث النفس، والثاني في الجهر والإعلان بما يغلب على ظنه حصول المدعو به، ويستثمر ذلك الفرق فيما يناسب حال المتكلم، عند موضع سورة مريم:﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾(٢، ٣)، فيه التعبير بالنداء، وهو مناسب للنفس الشاكية إلى الله ضعف البدن عجز الشيخوخة، وكأن صاحب النداء يرى طلب الولد في هذه الحالة أمرا غريبا، وأمنية خارجة عن العادة، فهو في حياء من الإفصاح بمطلبه، والجهر به، وأما في سورة آل عمران﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(٣٨) فتجد في قوله (هنالك) دلالة واضحة على الربط بين الدعاء وما شاهده زكريا لدى مريم حين وجد عندها من الطعام ما يستحيل وجوده في زمانه ومكانه، فكأن الذي يجد غرابة في طلبه لم يعد غريبا بعد أن شاهد من رحمة الله بمريم ما شاهده، فلم يتردد حينئذ في الجهر بدعوته (دعا)[١].

فهو يعتمد في التوجيه هنا على حال المتكلم، وما يكمن في نفسه من إحساس يستدعيه الموقف الذي تغاير في الصورتين، فكانت المغايرة بين المفردات فيما اشتبه نظمه وفقا لهذه الأحوال النفسية المتغايرة مع كون المتكلم واحدا، وفي تفرقته بين دلالة الفعلين (دعا) و(نادى) اعتماد على الدلالة اللغوية، والفرق المذكور أمر يحتاج إلى مزيد تحقيق، وليس هذا البحث موضعه.

---

(١) ينظر : الواو ومواقعها ١٥١ .

٤- من ضوابط التوجيه مراعاة السياق بعناية واهتمام:

التحديد الدقيق لسياق الآيات المتشابهة من أهم أسس التوجيه وأكثرها، وهو ملازم لدراسة المتشابه فلا يسوغ إهماله؛ لأنه يجلي في التوجيه مناسبة فروق النظم لسياق الآية أو السورة، وحينئذ لا يقتصر النظر على الآية التي ورد فيها المتشابه في سياقها الجزئي سباقا ولحاقا، بل يتسع نظر العالم إلى سياق السورة الكلي، وكثيرا ما يمتد تأمله إلى السياق الكلي للقرآن كله. وكل هذا مركوز في توجيه د/الخضري، تدسس في باطن السياق، وتسمَّع بأذن واعية إلى همس السياق الخاص، وأفاض في بيان اختصاص الآية بما اقتضاه السياق كما سيتضح في الشواهد الآتية:

يعرض د/الخضري فوارق السياق التي اقتضت إيثار أحد الوصفين (خاوية، منقعر) في الآيتين المتشابهتين: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ (القمر: ٢٠)، وقوله: ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ (الحاقة: ٧)، وكلا الوصفين قيد للمشبه به المتحد (نخل) ويعتمد على فروق الدلالة بين المفردتين (منقعر، وخاوية) فالمنقعر هو المقتلع المنتزع من مغرسه، ودلالة خاوية تشتمل على معنى منقعر وزيادة أنها متآكلة الأجواف، ثم يستخرج من تناسب فوارق الدلالة مع فوارق السياق أسرارا عالية في تحليل ما تغاير من مشتبه النظم: ففي الحاقة (وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ) فجاء في هذا السياق ما يدل على تناهي الريح في الشدة بهذا الوصف (عاتية) فناسبه الوصف الأشد (خاوية) دلالة على شدة بلى أجسام المصروعين وتآكلها، ففيه ملاءمة لدرجة شدة الريح، خاصة إذا راعيت ما وصفت به الريح من طول استمرارها (سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا). وأما في سورةالقمر (رِيحًا صَرۡصَرًا)، فاكتفى بالوصف (صرصر)، ولم يرتق إلى

الوصف (عاتية)، فكان الوصف (منقعر) ملائما أشد التلاؤم لصفة الريح ودرجتها، كما أنه ملائم لوصف الريح بكونها (تنزع) [1].

وهكذا يتحسس السياق ويتغلغل في أعماقه؛ ليستنطق نظمه بالأسرار المعنوية، فيتخذ من سر التغاير في الوصف الذي وقع قيدا للمشبه به ما يبين عن حسن الصورة التشبيهية في نظمها وبنيتها المناسبة لسياقٍ صبغها من ألوانه بمقادير تفاوتت درجاتها بين الموضعين، وهذا "من الثراء القرآني في رسم الصور المتعددة للشيء الواحد تجمعها فتجد بينها من التناسق مثلما تجد بينها من التمايز، فلا يصدمك التفاوت، ولا يملّك التكرار"[2].

وتتمة القول أن بعض النابهين اعتمد في توجيه التغاير بين الآيتين على تغاير الجهة المنظور إليها في تصوير الحدث: ذلك أن آية سورة القمر تصور مصارعهم عند بداية الإهلاك في أول يوم منه، ويشهد له ما ذكر في السياق قبله ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴾ (القمر: ١٩) فناسب هذه البداية – والقوم حينها يقاومون الريح – أن يعبر عن الريح بأنها (تنزع)، ويجعل من سقط منهم –وما يزال به قوة وصلابة– كأعجاز نخل موصوف بـ (منقعر)، وأما آية سورة الحاقة، فتصور مصارعهم عند المشهد الأخير من الإهلاك، حين بلغ الذروة في شدة ريح (صَرۡصَرٖ عَاتِيَةٖ . سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا)، بعد كل هذا الزمن الذي امتد العذاب فيه واشتد، لا تجد في نهاية المشهد إلا أجساما تآكلت وبليت، فهي (خاوية)، وجاء عقبها (فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ)[3].

وهذا ملمح جيد في توجيه المتشابه على نحو به نتجاوز القول بالتكرار، وبه يحصل تكامل الصورة التي كانت قسمة بين السورتين من خلال لوحتين: لوحة تركز على البداية،

---

(1) ينظر: من بيان القرآن: د/الخضري ٢١– ٢٣ .

(2) السابق ٤٣.

(3) أفدت بعضه من د/بسيوني عبد الفتاح فيود في كتابه: من بلاغة النظم القرآني، ٣٠٥ .

ولوحة هي أشد عناية بالنهاية، فإذا نظر المتأمل إليهما مجتمعتين، تكامل تصوير الحدث، وحسَّن موقعَهما مجيئُ الموضعين في الترتيب المصحفي وفق ترتيبهما الوجودي (بداية ونهاية) على ما يناسب في كل، وهذا يصدق فيه قول د/الخضري: "وهذه آية الإعجاز أن يأتي المثلان متباعدين موضعا، وفي سورتين مختلفتين، وكأنهما وضعا متجاورين في لوحة واحدة، وبينهما شدة تلاؤم وشدة تباين، يقضي بهما التناسق والتمايز"[1].

ويراعي السياق والجو المحيط بالآيات، ويتجلى هذا في التفرقة بين صيغة الجمع﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾(القمر ٧) مع إفراد﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾(القلم ٤٣)، فالفرق بين الصيغتين يكشف عنه الفرق بين سياقٍ عاصف يصور هلاكا أحاطت بالقوم نذرُه، وهَولًا دقت أجراسُه، وسياقٍ في حوار هادئ يرخي العنان للتأمل والتدبر، فهذا أوجب الجمع في الأول، والإفراد في الآخر، بحكم أن الجمع أقوى وأشد"[2].

وعرض لسر تعدية الفعل بـ (اللام) في قوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾(الأعراف ٥٧)، وتعديته بـ (إلى) في قوله:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(فاطر ٩)، ونقل توجيه الغرناطي بأنه من قبيل التناسق اللفظي مقابلةً للإيجاز بالإيجاز في الأولى حيث لم يسبق الفعل بفاء التعقيب، ومقابلة للإسهاب بالإسهاب في الثانية حيث سبق الفعل بالفاء[3]، ثم يضيف د/الخضري-على عادته- غرضا معنويا فوق التوجيه اللفظي المذكور: فالسياق في سورة الأعراف سياق رحمة بالصالحين

---

(1) من بيان القرآن ٣٧.

(2) الإعجاز البياني ٢٣٩ وما بعدها .

(3) ينظر: ملاك التأويل ١/١٨٧ .

تجلت في الاستجابة لدعائهم بإرسال الرياح بين يدي رحمته بهم ليسقيهم ويرزقهم من الثمرات، بخلاف السياق في آية فاطر، فهو سياق ملتهب بالوعيد والتهديد لمنكري البعث، فجاءت الآية لإثبات القدرة الإلهية على إحياء الموتى، وجاءت (إلى) مشيرة إلى نهاية رحلة الرياح ونهاية موت الأرض، لتبدأ ببعثها حياة أخرى، وكذلك يحدث للإنسان بعد نهاية رحلة الدنيا يحييه الله... ويستدل بعدة جمل في الموضعين تحدد معالم السياق وخصائصه(١).

٥- توجيه المشتبه بالنظر إلى سنن العرب في كلامهم:

ومن الضوابط التي راعاها في التوجيه سنن العرب ونهج الفصحاء في كلامهم، يبين ذلك أنه ذكر عن العرب يقولون: صبرت في الحرب، وعلى سننهم جاء الصبر متعديا بـ (في) مرة واحدة في قول الله تعالى:﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾(البقرة١٧٧) وإن كثر تعديته بـ (على) في غير هذا الموضع، وتعديته هنا بـ (في) للدلالة على المبالغة في الصبر، فالصابر محاط بالمصائب، محاصر بالمحن والشدائد من كل جانب، وهذا ما يجسده حرف الظرفية؛ ليدل على أنهم اتصفوا بالصبر حين كانت تحيط بهم البأساء والضراء، وتشملهم اشتمال الوعاء للموعى فيه، وهذا مسلك تغياه من تمكن من لغة هذه الأمة، وفقه أسرارها، كما قال ربيعة بن مقروم(٢):

شَهِدتُ طِرادَها فَصَبرتُ فيها *** إِذا ما هَلَّلَ النِّكسُ اليَراعُ(٣)

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ٢٣٠- ٢٣٢ .

(٢) ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي، من شعراء الحماسة، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام، أسلم وَشهد الْقَادِسِيَّة وَغَيرهَا من الْفتُوح، وعاش مائَة سنة. خزانة الأدب: عبد القادر البغدادي ٨/ ٤٣٩، الأعلام للزركلي ٣/ ١٧.

(٣) البيت من الوافر، وهو في ديوانه ٣٣، وفي المفضليات١/ ١٨٧.

فالصبر في الحرب شيء، والصبر عليها شيء آخر كما لا يخفى[١].

وقد استند إلى الشعر هنا في بيان سنن العرب في استعمال الحروف مع الأفعال، وتعديتها بها، ودلالتها عند تغاير الحرف. ويوجه تنوع الإفراد والجمع في مشتبه النظم باتباع سنن العرب في باب الإيجاز والإطناب، فيقول: "والعرب تراعى فى أجوبتها وحوارها تناسب أجزاء الكلام إطالة وإيجازا، وهو ما جرى عليه النظم"[٢]. فيأتي المفرد في مقام الإيجاز، ويأتي الجمع في مقام الإطالة، وهذا كثير.

٦- توجيه المشتبه في ضوء نهج النظم القرآني المطرد أو الغالب:

إذا عرض لموضع له نظائر يأتي توجيهه بعد الاستقصاء والحصر لجميع نظائره وأشباهه في سور القرآن وآياته؛ ليحط رحله عند ضوابط كلية مطردة، أو غالبة على نظمه، وكثير من الأسرار الدقيقة خبيئة وراء "اطراد النظم القرآني".

وله في ذلك نظرات كلية قام عليها التوجيه، وفي مؤلفاته الكثير من اطراد النظم في التقديم، وفي مغايرة حروف الجر، ومغايرة حروف العطف ...

ومن شواهده: عند تقديم (الحكيم) على (العليم) في مشتبه النظم يقرر هذا التوجيه عاما يشمل جميع مواضعه: "المواضع التي تقدم فيها وصف (الحكيم) على وصف (العليم)، فإنها جميعا تدل على إطلاق مشيئته في أفعاله مما يخفى معه وجه الحكمة على خلقه، فكان تقديمه دعوة للعقل إلى تفويض الأمر لمن خلق فيما يتقاصر عن إدراكه، وتغيب عنه حكمته"[٣].

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ، ١٣٠.

(٢) الإعجاز البياني ٢٢١.

(٣) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ٤٧ .

ويقرر أيضا ضابطا عاما في توجيه تقديم (الغفور) على (الرحيم) "يقدم في كل موطن يهمس فيه السياق بوقوع المعاصي، وكفران النعم، والدعوة إلى الاستغفار والتوبة من الذنوب، فتكون المبادرة بالمغفرة لطمأنة المذنبين والخطائين"(١).

وبعد إحصائه مواضع تقديم (الجن) على (الإنس) وقد بلغت تسعة مواضع، مقابلة بثمانية مواضع تقدم فيها (الإنس) على (الجن)، يقرر هذا الضابط في تقديم (الإنس) على (الجن) وعكسه: وهو أنه إذا كان الحديث عن الغواية والإضلال والتمرد على الله والاجتراء على سلطانه، فإن الجن أحق بالسبق، وأجدر أن يتقدموا الصفوف، نحو قوله تعالى:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾(الرحمن٣٣)، وحين يكون مجال التحدي فيما يتفوق فيه الإنسان، ويتفق مع مواهبه وقدراته، يقدم الإنس نحو قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء٨٨)، ثم يستطرد في تطبيق هذا الضابط تفصيلا على ثمانية شواهد من مغايرة النظم في ترتيب الإنس والجن، وهي نماذج بينة وأدلة واضحة على ما تقرر لديه(٢).

وعماد هذا الضابط عبارة الرازي على وجازتها واكتنازها: "النفوذ من أقطار السموات وَالْأَرْضِ بِالْجِنِّ أَلْيَقُ إِنْ أَمْكَنَ، وَالْإِتْيَانُ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ بِالْإِنْسِ أَلْيَقُ إِنْ أَمْكَنَ، فَقَدَّمَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَنْ يُظَنُّ بِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ"(٣). فانظر كيف استخرج من تلك الجوهرة جواهر، وبسط هذا القول الوجيز، فجعل منه ضابطا استثمره في شواهد أخرى، وسلك به مسالك جديدة في التوجيه، وهذا من التجديد الحميد .

---

(١) السابق ٥٠ .

(٢) ينظر: دراسات في إعجاز القرآن ٧٥ – ٧٩.

(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٦٢.

ومما بناه على الحصر – في مغايرة حروف الجر – فاستخرج منه توجيها مطردا ما جاء فيه فعل المغفرة متعديا إلى الذنوب بنفسه، فوجده قد وقع في القرآن سبع مرات، وهي جميعا خطاب للمؤمنين، وما أوصل منه بـ (مِن) ثلاثة مواضع، وكلها خطاب للكافرين، ويعلل هذا الاطراد بالتفرقة بين الخطابين؛ لئلا يسوى بين الفريقين في الوعد، فمقام الكافرين مقام قبض لا بسط؛ فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب، بخلاف مقام المؤمن فهو مقام البسط وفيوضات الرحمة والفضل[1].

ويُبرز ما يشبه الظاهرة العامة في النظم القرآني في ما جاء من مادة (الإنزال) متعديا بـ (إلى)، أو متعديا بـ (على) فيما خص فيه الإنزال بمن نزل عليه الوحي من النبيين ولم يشاركهم فيه من أمروا بتبليغه إليهم، فيقول: "وقد وجدت ما يشبه أن يكون ظاهرة عامة تبدو فيها روح التكريم والتشريف للأنبياء في كل المواطن التي تعدت بـ (على)، وروح الحث، والاستنهاض، وحدة النبرة في الدعوة إلى التمسك بالمنزل فيما تعدى بـ (إلى)"[2].

٧- توجيه المشتبه بالنظر إلى نهج القصص القرآني:

كثيرا ما تتكرر القصة الواحدة في عدة سور، فيتشابه نظمها ويتغاير، ووراء ذلك أسرار وخصائص، وقد علل د/الخضري تقديم (هارون) على (موسى) مراعيا خصائص القصة وسماتها في كل سورة، فقال: "وقد استبان لي بعد طول نظر وتأمل في سياق السور الثلاث: (الأعراف، والشعراء، وطه)، أن سورة (طه) حظي فيها هارون باهتمام واضح لم يحظَ به في السورتين الأخريين... هارون في سورة (الأعراف) لا تكاد تسمع له ذكرا في الحوار، وفي سورة (الشعراء) لم يظهر هارون إلا في استجابة الله لدعاء موسى أن يشرك معه هارون في الرسالة، ثم يختفي في الحوار تماما، أما في سورة (طه) فإنك تحس بوجود

---

(1) ينظر: من أسرار حروف الجر ٣٤٠، ٣٤١.

(2) ينظر: السابق ١٠٧ وما بعدها.

هارون من بدء الإرسال وإلى ما بعد المعركة التي انتهت بإيمان السحرة، فليس غريبا أن يتقدم هارون على موسى؛ إظهارا للاهتمام به وإبرازا لدوره في مؤازرة أخيه"[١].

وهذا مبناه على النظر في سياق السور الوارد فيها القصص وخصائصها، وإبراز نهج القصص القرآني في التركيز على جانب من القصة في سورة، ثم يتغاير هذا الجانب الذي اشتدت العناية به بتغاير السور التي تتكرر فيها تلك القصة، ليجعل من المتغايرات تكاملا في كل عنصر من عناصر القصة القرآنية، وهذا يحتاج إلى الوقوف بدقة على خصائص القصص المتشابه في كل موضع؛ ليستثمر في توجيه التشابه، وتعليل التغاير.

٨- قواعد عامة نقدها د/الخضري في التوجيه، وأخرى أضافها:

في حديثه عن القواعد التي وضعها النحويون والبلاغيون يرى أنها ليست كافية في تفسير الكثير من مواطن مشتبه النظم القرآني، حيث خولفت هذه القواعد أحيانا في الكتاب المعجز، وهذا ما دفعه إلى تقرير ضوابط تضاف إلى ضوابط سالفيه.

ومن مظاهر نقد هذه الضوابط أنه يحتج على البلاغيين وهو يوجه الفصل والوصل في مشتبه النظم فيقول: "لقد أثبت القرآن قصور الدراسات البلاغية التي حاولت تحديد طرائق التعبير فصلا ووصلا، بما تميَّزَ به من كثرة المتشابهات ذات الفروق البالغة الدقة، والتي لا يحكمها سوى صفاء الذهن وصدق الحس، لاستخراج كوامن الأسرار وراء إثبات الواو أو حذفها"[٢].

ويجعل من الموازنة بين قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾(البقرة:٤٩) بغير الواو، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ

(١) دراسات في إعجاز القرآن ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الواو ومواقعها ٢٣٧ .

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ (إبراهيم: ٦) بإثبات الواو، حجة على البلاغيين، ولا شك أن رغبتهم في إحكام القواعد اقتضت هذا التحديد في الفصل والوصل، لكن مجال التطبيق أوسع وأرحب، وكثيرا ما أكد د/الخضري على أن علماء البلاغة وأصحاب الحواشي والمفسرين البيانيين إذا كتبوا في جانب القواعد، كانوا مقيدين بها لا يخرجون عن رسمها وحدودها، فإذا كتبوا هم أنفسهم في التفسير وحواشيه ومشتبه النظم، صاروا إلى ميدان رحيب، متسع الآفاق، كثير اللطائف والأسرار، وإذا كان مجال التطبيق أوسع وأرحب، فإنه في النظم المعجز طراز فريد نسيج وحدِه، وقول د/ الخضري وإن ورد هنا في مشتبه النظم في الفصل والوصل إلا أنه ينسحب على عدة أبواب في البلاغة القرآنية، وقد نبه إلى بعضها في مواضع متفرقة من مؤلفاته[١]... وهو بحث وجيه يحتاج إلى مزيد بسط وتقرير في عدد من الأساليب البلاغة بين القاعدة المجردة وتطبيقاتها على النظم القرآني؛ لاستجلاء أسرارها التي لم يتعرضوا لها عند التقعيد، على أن يكون عموده استقراء كلام المفسرين وأصحاب الحواشي في التطبيق مقارنة بما كتب في التقعيد في كل مبحث من مباحث البلاغة.

ويضعّف قول الزمخشري باختلاف أساليب الوصل والفصل للتفنن في البلاغة[٢]. وفي هذا السفر الجليل (الواو ومواقعها في النظم القرآني) اهتم ببيان الفروق في متشابه النظم فصلا ووصلا، وخالف بعض المقاييس التي ذكرها سابقوه فيما يوجب الفصل أو الوصل، متكئا على الذوق البلاغي، والتغلغل في أعماق المعاني والمقاصد، ومراعاة المقام وحال المتكلم والمخاطب، والسياق الكلي والجزئي، فأبان عن أسرار المتشابه في كل موضع واختصاصه بما يناسبه ويلائمه فصلا أو وصلا.

---

(١) ينظر: الواو ومواقعها٩- ١١، من أسرار حروف العطف٥، ٧ ،الإعجاز البياني١٧وما بعدها.

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف ١١٨.

وأنكر على النحويين والبلاغيين القول بنيابة الحروف بعضها عن بعض، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر، واستند في إنكاره إلى أن هذا يصدُّ عن البحث في الفروق بين معاني الحروف – لا سيما في مشتبه النظم– وما تضفيه على سياقها من دلالات خاصة(١).

ومن شواهد نقده الجيد لقواعد سابقيه أنه عرض القاعدة الكلية التي ذكرها الإسكافي في التفرقة بين (أولم) و (ألم): " كل ما فيه (واو) مثل: أولم يروا، فهو تنبيه على ما تقدَّمه في التقدير أمثال له منبهة لكثرتها، فالتكبيت فيه أعظم، فهذا كله في المشاهد وما في حكمه، وما ليس فيه (واو) مثل: ألم يروا، فهو مما لم يقدر قبله ما يعطف عليه ما بعده، لأنه من باب ما لا يكثر مثله، وذلك مما يؤدي إلى علمه الاستدلالات"(٢). ثم نظر في هذه القاعدة فرآها غير مطردة في الكتاب العزيز؛ لأن بعض المواضع يهزُّ هذه القاعدة، ولهذا قال د/الخضري: "والحق الذي أراه أن تعليل الإسكافي – بأن المشاهد وما في حكمه يأتي بالواو، وما يكون علمه بالاستدلال والفكر يأتي بغير الواو– ليس قياسا مطردا؛ بدليل أنه علل ترك الواو في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾(الأنعام٦) بأن الطريق إلى العلم به الاستدلال لا المشاهدة على حين أن مثله جاء في القرآن بالواو، في قوله تعالى ردا على ادعاء قارون العلم والتفاخر به:﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ (القصص٧٨)، وكذلك قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ٣٣٣.

(٢) درة التنزيل ٥٨ .

مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾ (السجدة٢٦)"[١].

ويعتمد في نقد هذه القاعدة الكلية التي ذكرها الإسكافي على التتبع والاستقصاء مع التأمل، ومن ثم لا يقف عند تلك المرحلة، بل يجاوزها ويترقى فيضع قاعدة أخرى يمكن الاعتماد عليها، لأنه يراها قياسا مطردا، ويحشد كثيرا من الأدلة المتوالية التي تقرر صحتها، فيقول: "القياس الذي يمكن الاعتماد عليه في هذا الموضع هو أنه إذا كان القصد إلى إنكار قول أو فعل سابق، بإبراز التناقض بينه وبين ما دخلت عليه الهمزة لمزيد الإنكار والمبالغة في التوبيخ، جيء بالواو، وإذا أريد مجرد التقريع والتوبيخ على ما بعد الهمزة، لم يكن ثمة مجال للإتيان بها، وهذا يحدده السياق وحده"[٢].

ثم ساق لهذه القاعدة عدة أمثلة وشواهد في أربع صحائف تقريرا لها، وفي جميعها ينزع إلى دلالة الواو مع التحاكم إلى السياق الواردة فيه الآية. ولا يخفى على دارس البلاغة أمر التفرقة في الخطاب بين المنكر وغيره، فالكلام الوارد عقب إنكار يغاير نظم الكلام الذي لم يسبقه إنكار، ولكل مقام منهما ما يناسبه من أساليب .

ولا يغفل النظرة الكلية الشاملة التي تبين عن ضوابط محكمة راسخة هدي إليها، ومن صور ذلك قوله: "ويتتبع مواطن الإفراد والجمع في الذكر الحكيم تبدى لي بعد طول تأمل: أن (ذا القربى) في كل ما جاء منه بإفراد (ذا)، أومأ إلى نوع من التميز والتفرد في القرابة... فإذا قصد القرآن شمول كل ذي قرابة، أومأ إلى ذلك بصيغة الجمع"[٣]، ويسوق

---

(١) الواو ومواقعها ٣١٢ .

(٢) الواو ومواقعها ٣١٣ .

(٣) الإعجاز البياني ٢٣٤، ٢٣٥ .

ثلاثة أدلة على ما ذهب إليه، وهذه نظرة كلية قائمة على التتبع والاستقصاء وطول التأمل مع سبرها بعدة أدلة، وهذا أوغل في التقرير والتحقيق.

وكثيرة تلك الضوابط الكلية في مواضع متفرقة من مؤلفاته، منها ما جاء من النظر متعديا بـ (في)، أو متعديا بـ (إلى) ، وتعدية الفعل سمع بـ (اللام) و (إلى) في النظم القرآني[١]

ومع إكثاره من الضوابط المعنوية، فإن الضوابط اللفظية قلما تأتي منفردة في التوجيه عنده، بل يتبعها ضوابط معنوية، ومن نماذجه: حين نقل تعليل الغرناطي لتعدية الفعل بـ (اللام) في آية:﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾(العنكبوت: ٨)، وتعديته بـ (على) في آية ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾(لقمان١٥)، وقد فرق بين الآيتين، من حيث بناء آية العنكبوت على الإيجاز، فناسب ذلك الاكتفاء باللام، وبناء آية لقمان على الإطالة، فناسب ذلك التعدية بـ (على)، ولو قدرنا عكس الوارد لما ناسب، فجاء كل على ما يناسب[٢]. هكذا يوجهه الغرناطي، ويعتد بهذا د/الخضري، ويراه مقبولا، وإن لم يكن كافيا في التوجيه، فيقول: "وهذا وجه لا يستبعد في نظم تلتئم حواشيه وأطرافه، وتتناسب صدوره وأعجازه، إلا أنه لا يمنع ذلك من أن يكون هناك غرض يستدعيه المعنى ويتطلبه" وذكر سره المعنوي[٣]، وحين يذكر في الضوابط تناسب الصيغ فيما بينها حيث يقابل الإفراد بالإفراد والجمع بالجمع، يعتد به، ويضيف إليه سرا معنويا[٤].

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ١٤١، ٢٢٩، ٢٣٠ .

(٢) ينظر: ملاك التأويل ٣٨٨/٢ .

(٣) من أسرار حروف الجر ٢٤٥ .

(٤) ينظر: الإعجاز البياني ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤.

بعد هذه الكلمات العاجلة التي لا تكشف عن كل جهده وعطائه المدرار في الدراسة القرآنية عامة، وفي المشتبه خاصة، أقول: كانت رحلة د/الخضري في طريق وعرة مليئة بالصعوبات، سار فيها خطوات، وقطع مسافات، ومهد وذلل، وعبَّد جوانب كثيرة منها، فأبقى جهدا مشكورا في جانب مهم من الدراسة القرآنية، فلَّت فيه أقوال العلماء وعزَّت، بل جاءت أقوالهم كالقطا الهادي إلى منابع الماء، ففجر -رحمه الله – من ينابيعها ما يروي الغلة، وكشف عيونا تفيض بالأسرار التي هي قرائن الإعجاز.

الخاتمـــة

بعد هذه الدراسة الوصفية لتوجيه مشتبه النظم القرآني عند الدكتور/الخضري يمكن إجمال أهم النتائج فيما يلي:

١- الاتكاء على الكتب الأصلية والفرعية في توجيه مشتبه النظم، ومنها: كتب متشابه القرآن، والتفاسير البيانية، والحواشي، وكتب علوم القرآن، والجمع بين تراث السابقين وكتب شيوخه ومعاصريه، تحصيلا لأكثر الشواهد الموجودة عندهم.

٢- قرأ توجيهات سابقيه ومعاصريه بتأمل واعٍ: تارة يوافقهم ويستحسن ما قالوا، وتارة يناقش أقوالهم، ويضعِّف منها ما لا يسوغ مستدلا بأدلة متعددة، وتارة يفاضل ويرجح بعضها مع التعليل وحشد الدليل، وتارة يوضح ويفصل ما جاء في كلامهم مقتضبا خاطفا، فيقلب النظر فيه بعقل ثاقب، وفكر عميق؛ لينتج منه دقائق وأسرارا في عدة صحائف عليها ميسمه واجتهاده، وينمي كلامهم ويستثمره في جديد لم يتعرضوا له، ويفرع على أقوالهم ما يحتمله كلامهم، ويستنبت هذه البذور ويرويها حتى تكثر ثمارها. فدلل على أن هذا العلم بحاجة إلى دراسات تكمل جهد السابقين، وتتمم ما بدأوه، وتستنبت قواعدهم في أودية مترامية الأطراف.

٣- الجدَّة في توجيه مشتبه النظم: بإضافة توجيهات لآيات سُبق إلى توجيهها، وإضافة توجيهات لآيات هُدي إلى أسرارها بعد توقف طويل، واجتهد في تعليلها حين لم يجد لغيره فيها توجيها، فأثري هذا العلم في تحليله نماذج من المشتبه، وفتح آفاقا جديدة، وأنشأ أبكارا، وأبقى في أعناق المتشابهات جواهر نيرة، وحلية ساطعة.

٤- تحريك العقل نحو اللبنة الأخيرة في التوجيه بتعليل اختصاص كل آية أو سورة بما اختصت به دون الآية التي تشبهها في النظم، وهي المرحلة المهمة التي قطع المسافات من أجل بلوغها، وأولاها عناية واهتماما، سيما إن كانت من المسكوت عنه عند سابقيه، فيحمد له هذا التجديد بتحريك العقول من الجمود والوقوف عند ما كُتب إلى البحث عما لم يكتب فيه.

٥- اعتمد في التوجيه على أسس قوية، منها أسس لغوية: صوتية، أو نحوية، أو صرفية، أو بلاغية، أو دلالية، ومنها أسس مستمدة من علوم القرآن كأسباب النزول، ومنها أسس في التوجيه اللفظي كالانسجام ومراعاة الفواصل، وكانت عنايته بالتوجيه المعنوي واضحة. ومن ثم كان الاتكاء على تلك العلوم مثمرا في استجلاء أسرار المغايرة.

٦- يحاول جاهدا أن يكشف الأسرار التي تتعلق بالتوجيه المعنوي ويرى أن الباحث إن لم يظفر بسر معنوي، اكتفى بالتوجيه اللفظي حينئذ واقتصر عليه، وهو أدنى ما يجزئ في التوجيه، وهذا سبب إكثاره من الضوابط المعنوية، فإن الضوابط اللفظية قلما تأتي منفردة في التوجيه عنده، بل يُتبعها ضوابط معنوية.

٧- يراعي ضوابط هي منارات في تحليل مشتبه النظم، منها: ضوابط كانت عند سابقيه فأقرها وأفاد منها في التطبيق، فاستثمرها في شواهد أخرى، وسلك بها مسالك جديدة في التوجيه، وضوابط أضافها بعد طول اجتهاد وتأمل، كما نقد بعض الضوابط والقواعد وخالفها مستشهدا ومدللا، وقد أحكم ضوابط التوجيه في ضوء مراعاة السياق، وتغاير المقصد، واختلاف المخاطَب وأحواله، واختلاف حال المتكلم، والنظر إلى سنن العرب في كلامهم، ومراعاة نهج النظم القرآني المطرد أو الغالب، فاستلزم أن يبني هذا على الحصر والاستقصاء للآيات المتشابهات قبل التوجيه.

٨- لم يقتصر على النظرات الجزئية، بل اعتمد على نظرات كلية في النظم العام، وتطبيق تلك النظرات جلي في كتبه، حيث نتج عنها توجيهات عامة شاملة.

وأخيرا، أوصي بثلاث دراسات في مؤلفات د/الخضري رحمه الله: دراسة تحليلية لتوجيه المشتبه عنده بمناقشة أقواله وتحقيقها وتحريرها، ودراسة مشتبه النظم بين د/الخضري و د/السامرائي على وجه الموازنة بينهما في الضوابط والأسس والتطبيق، ودراسة استدراكاته واعتراضاته على البلاغيين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجـع

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود العمادي ت٩٨٢هـ)، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أسباب النزول: الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤١١هـ.

٤. الإسلام في عصر العلم: د/محمد أحمد الغمراوي(ت١٩٧١م)، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٥. الإعجاز البلاغي: د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن: د/الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة، ط الأولى١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧. الإعجاز في نسق القرآن دراسة للفصل والوصل بين المفردات: د/محمد الأمين الخضري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط الأولى١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٨. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٩. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف: ابن المنير الإسكندري(ت٦٨٣هـ) حاشية بهامش الكشاف، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٠. الإكسير فِي علم التَّفْسِير: سليمان بن عبد القوي الطوفي(ت٧١٦هـ)، تحقيق د/عبد القادر حسين، مكتبة الآداب بالقاهرة، الثانية ١٩٧٧م.

١١. البحر المحيط:أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ .

١٢. بدائع الفوائد: ابن القيم (ت٧٥١هـ)، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٣. البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق: د/أحمد أحمد بدوي، د/ حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة.

١٤. البرهان في علوم القرآن: الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، ط الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادى(ت٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٦. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د/ محمد أبو موسى، ط دار الفكر العربي.

١٧. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د/فاضل السامرائي، ط شركة العاتك بالقاهرة، الثانية١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

١٨. البيان والتبيين: الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ط دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

١٩. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) ط الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨٤م.

٢٠. التفسير البياني للقرآن الكريم: د/عائشة بنت الشاطئ، ط دار المعارف بالقاهرة، السابعة.

٢١. تفسير الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

٢٣. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٤. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش (ت٧٧٨ هـ) دراسة وتحقيق: د/علي محمد فاخر، ط دار السلام، القاهرة، الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٥. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٦. حاشية الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.

٢٧. حاشية الطيبي على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، الأولى١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي(ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٩. دراسات في إعجاز القرآن الكريم:د/محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٣٠. درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣١. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٣٢. دلالات التراكيب دارسة بلاغية: د/محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٣. ديوان ربيعة بن مقروم الضبي: جمع وتحقيق: تماضر عبد القادر فياض، ط دار صادر، بيروت، ط الأولى١٩٩٩م.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٥. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٣٦. ضوابط التوجيه اللفظي لمتشابه النظم القرآني: أ.د/محمود حسن مخلوف، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، عدد ٢٥، ٢٠٠٦م.

٣٧. على طريق التفسير البياني : د/ فاضل السامرائي، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

٣٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٩. الكليات: أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٠. لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

٤١. لسان العرب: ابن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الثالثة ١٤١٤هـ .

٤٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي(ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى١٤٢٢هـ .

٤٣. معاني الأبنية في العربية: د/فاضل السامرائي، ط دار عمار، الأردن، الثانية ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م.

٤٤. مفاتيح الغيب (تفسير فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ) ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٤٥. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهانى(ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، دمشق ، الأولى١٤١٢هـ.

٤٦. المفضليات: المفضل الضبي (ت١٦٨هـ)،تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط دار المعارف، القاهرة، السادسة.

٤٧. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ)، تحقيق: عبد الغني محمد الفاسي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

٤٨. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: د/محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط الأولى١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٤٩. من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم: د/محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط الأولى١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٥٠. من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية: د/محمد الأمين الخضري ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٥١. من بلاغة النظم القرآني: د/بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٢. من بيان القرآن: د/محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة، ط الأولى١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٣. النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن):د/محمد عبدالله دراز، ط دار القلم، الكويت.

٥٤. نتائج الفكر: أبو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٥٥. الواو ومواقعها في النظم القرآني:د/محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.